أمراء غسان

للمستشرق

ثيودور نولدكه

وهي رسالته

أمراء غسان من آل جفنة

التي نشرتها أكادمية العلوم البروسيانية في برلين

نقلها الى العربية واضاف اليها تصحيحات مؤلفها الأخيرة

الدكتور بندلي جوزي
استاذ اللغة العربية في جامعة باكو

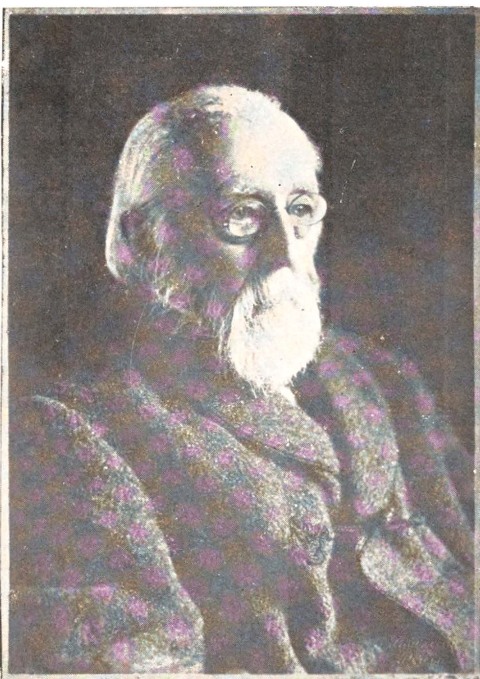
الدكتور قسطنطين زريق
أحد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية

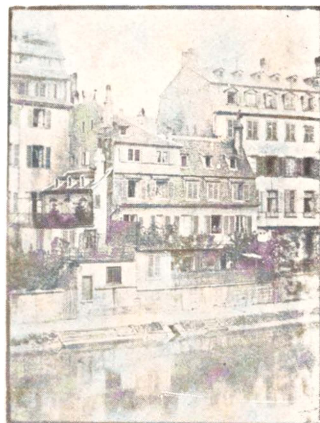
المطبعة الكاثوليكية – بيروت ، ١٩٣٣

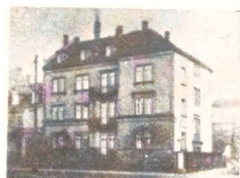
الجامعة الأميركية في بيروت

منشورات كلية العلوم والآداب









الاستاذ نولدكه في اواخر حياته

ومسكناه في شتراسبورغ و كارلسروه

أمراء غسّان

للمستشرق

ثيودور نولدكه

وهي رسالة

أمراء غسّان من آل جفنة

التي نشرتها أكاديمية العلوم البروسيانيّة في برلين

نقلها الى العربية واضاف اليها تصحيحات مؤلفها الأخيرة

الدكتور بندلي جوزي
استاذ اللغة العربية في جامعة باكو

الدكتور قسطنطين زريق
أحد أساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية

المطبعة الكاثوليكية – بيروت، ١٩٣٣

تمهيد

لَعَلَّ من أَشدِ ميزات النهضة العربيـة أثرًا ومن اينعها ثمرًا تلك النزعـة الحديثة التي اخذت تهيب بعلماء الاقطار العربية وادبائها الى انتهاج الطريقة العلمية السديدة في وضع تاريخ بلادهم : بما تتناوله هذه الطريقة من التجرّد عن الاهواء والميول الخاصة ، والحرص على نقد الاخبار وتمحيصها ، والسعي الى اكتشاف الحقيقـة الخالصة دون ما زيغ او التواء . والحقّ انَّ هذه النزعـة لا تزال في مهدها وانّ جهود اصحابها لم تتعَدَّ بعدُ حدود دائرة ضيّقةٍ من البحث والاستقصاء ؛ بيد أنَّ الغاية الرفيعة التي تسمو اليها — وهي اقرار الحق واثبات الواقع — ، والروح الخالصة التي تتغلغل طيَّ ابحاثها — روح النقد والتمحيص والتحليل — تضمنان لها النصر الأكيد في هذا الميدان إن لم يكن اليوم ففي الغد القريب .

ويُخيَّل لنـا انَّ دون سيادة هذه النزعة العلمية في العالم العربي خطوتـين رئيسيتين لا بُدَّ من انتهاجهما للوصول الى الغاية المنشودة . امّا الخطوة الاولى فهي نشر « الأصول » التاريخية نشرًا علمياً يتفق والطريقة الحديثة التي جرى عليها العلماء من مقارنة النسخ والاعتماد على القراءات الصحيحة وما يقتضي ذلك كلّه من مراعاة الشروط الدقيقة المتفق عليها عند اهل هذا العلم . ومما يُثلج الصدر وتغتبط له النفس ما أخذ يقوم بـهِ علماء الاقطار العربية وادباؤهـا من المشاريع المنتجة في هذا السبيل . فهناك قسم « إحياء الآداب العربية » في دار الكتب المصرية وما يهدينا إيّاه عاماً بعد عام من الكنوز التاريخيـة والادبية الثمينة ، وهنـاك الجهود الفعّالة التي تبذلها الجامعتان البيروتيتان لنشر الوثائق و « الأصول » الهامّة في تاريخ الاقطار العربية ، وهنالـك أخيرًا تلك النصوص القيّمة التي تخرجها الى حيّز الوجود الجمعية الملكية الجغرافية المصرية العاملة تحت رعاية وعطف جلالة الملك فؤاد الاول .

اماً الخطوة الثانيــة فهي الرجوع الى ابحاث المستشرقين الذين تعمّقوا في درس ميراثنا التاريخي والأدبي والسعي في نقل هذه الابحاث الى اللغة العربية كيما يتعرّف ابناء بلادنا الى الحقائق التي اقرّها هؤلاء العلماء والنتائج التي توصّلوا اليها ، وكيما يتشرّبوا تلك الطريقــة العلمية في البحث والتدقيق فتتسرب الى اعماق نفوسهم ويظهر أثرهــا فيما ينهجونه من بحثٍ وتأليف . نقول هــذا ونحن أعلم مــا يكون بمواطن الضعف ومواقع الخطأ في ابحــاث البعض من المستشرقين الذين ـــ إماً عن غاية في النفس او عن ضعف في طريقة البحث ـــ ارتكبوا شططاً في القول او جوراً في الحكم . غير أنَّ كلَّ هــذا لا يعمي ابصارنا عن الجهود الجبَّارة التي قام بها عامّة العلماء المستشرقين ـــ وهم كُثُر ـــ في سبيل بناء تاريخنا على الأساس العلمي الصحيح بما ينشرونه من اصول وما يضعونه من تآليف وابحاث.

في مقدّمة هذه الجماعة من المستشرقين الذين أسدوا الى تاريخنا خدمةً جليلة واضعُ هذه الرسالة التي نقدّمها الى قرّاء العربية ـــ المستشرق الكبير المرحوم الاستاذ ثيودور نولدكه :

وُلِد هذا العلّامة سنة ١٨٣٦ في مدينة هاربورغ (المانيا) وتلقّى علومه في جامعــات غوتنغن وڤينا وليدن وبرلين ، وانصرف الى درس اللغــات السامية والتاريخ الاسلامي ، ونال مركز استاذ لهذه العلوم في جامعــة غوتنغن ثم في جامعة كيل وأخيراً في جامعة شتراسبورغ وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٩٠٦ حين تقاعد عن العمل . وكانت وفاته منذ سنتين في اوائل سنة ١٩٣١.

كان نولدكه في حياته من العلماء الثقات في عدّة نواحٍ من علوم التاريخ واللغات الشرقية ، فوضع في هذه العلوم مؤلفات جمّــة لا تزال الى الآن في مقدّمة المراجع الهامّة للطلّاب والباحثين . الّا انــه انصرف بنوع خاص الى ناحيتين من الدراسات الشرقية أصاب من كلٍّ منهما حظاً وافراً ، الاولى : اللغات الساميّة ، والثانية : تاريخ الاسلام وتمدّنه . فوضع في الاولى بحثَه في «اللغات الساميّة» ومؤلّفه في «نحو اللغة السريانية» وكتابيه الجليلين «دروس

في علم اللغات الساميّة » و « دروس جديـدة في علم اللغات الساميّة » . امّاً الناحيـة الثانية فقد دشّنها بمؤلّفهِ في « تاريخ القرآن » الـذي وضعه اولًا سنة ١٨٥٩ ونال عليـه جائزة « اكادمية النقوش الافرنسية » ثم اعاد كتابته وزاد عليـه واخرجه في اللغة الالمانية فكان له المقام الاسمى عند البحّاثين من علماء الغرب . وقد أعقب هذا المؤلّف بابحاثٍ أخرى في التاريخ الاسلامي والأدب العربي منها : « حياة النبي محمد » و « دروس في شعر العرب القدماء » و « نحو اللغة العربية الفصحى » و « خمس معلّقات : ترجمـة وشرح » و « مقالات في التاريخ الفارسي » الخ . . . ناهيك بما كان يتحف بـه مجلات الغرب التي تُعنى بالعلوم والآداب الشرقية من المقالات الشائقة والابحاث المفيدة . وبوسعنا ان نُجمل فنقول إن علماء المشرقيّات كانوا يجلّون في الاستاذ نولدكـه تعمّقه في درس اللغات وسعة اطلاعه على اخبار الأمم الشرقيّة وإجادته البحث في كلّ المواضيع المتعلّقة بهـا . فلا جَرَم اذا قدّموه على انفسهم واحتذوا طريقتـه ودعوه « شيخ المستشرقين »

ومن المواضيع التاريخية التي نالت حظّاً من عنـاية الاستاذ نولدكه تاريخ امراء الغساسنة في الشام . استهواه هذا التاريخ وهو بعد يافع في العشرين من عمره فوضع فيه مقالًا نُشِر في موسوعة Ersch und Gruber ، وكان جلّ اعتماده في اعـداد هذا المقال على كتاب : A. P. Caussin de Perceval Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islamisme . غير انّه مـا عتّم ان شعر بضعف هذا الكتاب للثقة الساذجة التي كانت لمؤلّفـهِ بالروايات والاخبار العربية فعـاد الى الموضوع وتناوله ببحثٍ جديد حاول فيـه النقد والتحليل والتدقيق وكانت نتيجة ذلك هذه الرسالة التي قرأها في اجتماع القسم الفلسفي - التاريخي من اكادمية العلوم الملكية البروسيانية في ١٧ شباط سنة ١٨٨٧ ثم نُشِرت بين ابحاث هذه الاكادمية في السنة نفسها ، وجئنا نحن الآن نقدّمها الى ابناء هذه البلاد بحلّة عربيّة .

يمتاز هذا البحث في تاريخ امراء الغساسنة الـذي وضعه الاستاذ نولدكه

بامور عدّة قد يكون من الخير أن نشير اليها في هذه المقدّمة لما لها من الاهمية في تقدير الرسالة وايضاح الطريقة التي انتهجها المؤلّف فيها .

يمتاز هذا الدرس اولًا بوفرة المصادر التي بُني عليها ، فلقد عمد المؤلف الى الاصول العربية وتقصى ما تضمنته من الروايات والاخبار عن امراء الغساسنة ولم يقتصر في بحثه هذا على المؤلفات التاريخية كتواريخ الواقدي وابن هشام واليعقوبي والبلاذري والطبري والمسعودي وحمزة الاصفهاني وابن الأثير وابن خلدون وابي الفداء بل تعدّاها الى المصادر الادبية كالاغاني والعقد الفريد والكامل للمبرّد ودواوين الشعر القديم — لا سيّما المعلّقات — ، وتناول ايضاً المؤلفات الجغرافية — كمُعجمي ياقوت والبكري — فاستخرج منها معلومات جزيلة الفائدة حاكها في نسيج بحثه . غير انه لم يتقيّد بالمصادر العربية فحسب ، لاعتقاده انَّ موادّها ليست دائمًا على ما يُرجى من الدقّة والضبط في الرواية وتحرّي الصدق في الاخبار . فهو ينتقد Caussin لايمانه الاعمى بها ويقول في ملاحظاته الاولية : «كلّ هذا يدلّنا على ان الوقت قد حان للقيام ببحث جديد في تاريخ هذه الأسرة ، لاسيا وان تلك الثقة الساذجة التي كانت للكتبة — حتى Caussin — بالروايات العربية قد زالت اليوم من نفس كل متخصص في هذا الموضوع . فقد انقضى ذلك الزمن الذي كنا نعتبر به أقاصيص العرب الجميلة اخبارًا تاريخية موثوقة ، واخذنا اليوم ننظر الى تطبيقات العلماء المسلمين نظرةً صحيحةً فلا نعلّق عليها اهميَّةً اكثر مما تستحق» (ص ١) . لهذا الأمر نجد المؤلّف يسعى الى المصادر اليونانية والسريانية فيستغل فوائدها ويقابل اخبارها بالروايات العربية ليتوصل من هذه المقارنة الى ما يبتغي من إقرار الحق في تاريخ الغساسنة . فنراه يرجع الى التواريخ اليونانية التي وضعها سوزومن وپروكوپيوس ومناندر الحامي واواچريوس وثيوفانس وثيوفيلكت وغيرهم ، ويستند ايضاً الى المؤلفات السريانية كتواريخ يشوع العمودي ويوحنا الافسي وميخائيل السرياني وديونيسيوس التلمحري وابن العبري وامثالهم ، حتى انه لم يَفُته ان يرجع الى مؤلَّف القس يوحنا البِكلَري الذي يؤرخ حكم ملوك الغوطيين الغربيين في اسپانيا فوجد فيه صدى لزيارة

المنـذر بن الحارث للقسطنطينية سنة ٥٨٠م. زِد على هـذا كله ان الاستاذ نولدكه يعتمد في اقسام عديدة من بحثه على النقوش التي اكتُشفت في انحـاء سوريا المختلفة والتي حفظها لنـا العلماء في مجموعاتهم او اوصاف سياحاتهم ، ونخص بالذكر العالِمين Waddington و Wetzstein . وغنيٌّ عن البيان ما للنقوش من الاهمّيـة في تعيين تاريخ الحوادث وتحقيق الاخبار والروايات لاسيما اذا عرفنا انها ترجع الى زمن الغساسنة او انها — على الاقـل — قريبةٌ من عهدهم.

ويمتاز هـذا البحث ثانياً بالدقّة في الرجوع الى هـذه المصادر المختلفة — والعربية منها على الأخص — قصدَ ضبط الروايات والاخبار وايرادها على اصدق صورة وأقربها الى الاصل . فاذا استند المؤلف الى رواية عربيـة سعى جهـده لتحقيقها وضبطها بكل ما أوتيه مِن الوسائل العلمية ، فلا يكتفي بمراجعـةِ طبعةٍ واحدة من المؤلَفِ الذي تَرِد فيـه بل يعمد الى الطبعات المختلفة فيقارنها بعضها ببعض ويقابل بين عباراتها ، لا بل يذهب الى ابعد من هذا فيفاوض زملاءَه المستشرقين ويطلب منهم ان يراجعوا له النسخ الخطيـة الاصلية المحفوظـة في متاحف المدن الاوروبية ومكاتبها ، فاذا ما وردتـه اجوبتهم قابل بعضها ببعض كيما يتوصل من ذلـك الى اصدق النتائج واقربها الى الحقيقة . وهو في كل حال يقرّ بفضل زملائـه المستشرقين ويعترف بمبلغ اعتماده عليهم . وحسبنا ان ننظر في درسه للابيات المنسوبة للنابغـة الذبياني (ص٣٦—٣٧) لنتبيّن مدى الجهد الذي يبذله في سبيل تحقيق الروايات وضبطها فقد سعى الى اثبات القراءة الصحيحة لهذه الابيات ، فاضطره ذلك الى مراجعة مخطوطات عدّة ومقابلة رواياتها كما يظهر لنا من قوله : (وقـد اتبعتُ في ترجمتي رواية ابن قتيبة في كتابـه « الشعر والشعراء » (راجع مخطوطة فينا) التي وقف عليها ايضاً ناسخ مخطوطة « كتاب المعارف » المحفوظـة في غوطا . وقد راجعت خمس مخطوطات لِ« جمهرة اشعار العرب » فقرأت في مقدمـة كل منها : « للحارث الأكبر والحارث الاعرج والاصغر » . وهذه الرواية لا تختلف في الجوهر عن روايـة « كتاب المعارف » (مخطوطـة برلين : مجموعـة

Sprenger ٣٦) الخ . . . . . .) ، ويتطرق في موضع آخر (ص ٥٨) الى تحقيق لائحة امراء الغساسنة في تاريخ المسعودي فيقول انه لم يقتصر على درسها في طبعتي باريز وبولاق لتاريخ المسعودي وفي رواية ابن خلدون فحسب بل اعتمد ايضاً على مخطوطتي ليدن اللتين عارضهما له الاستاذ De Gœje

ونلاحظ ثالثاً بين ميزات هذا الدرس تلك النظرة النقدية التحليلية التي يتناول بها المؤلف اقوال المؤرخين واخبارهم . فهو لا يكتفي باقتباس اقوالهم وترديد رواياتهم بل يأخذهم بالنقد والتحليل مُظهرًا مبلغَ امانتهم التاريخية ونوع الميول والاهواء التي كانت تتنازعهم . فقد نقل مثلًا عن ابن الأثير ووصفه بقوله إنه « مؤرخ حصيف » (ص ٦) ، وانه « عُرِف بالتحري في نقل الاخبار » (ص ١٩) ؛ وذكر عن البلاذري انه « من اهل النقد المحترسين في نقل الاخبار » (ص ٢٣) ؛ وأشار الى ثيوفيلكت بانه « مؤرخ اهل بالثقة والاعتبار رغماً عن تقصيره الشائن في الذوق الكتابي » (ص ٢٩) . ويجد احياناً ان مؤرخاً ينقل عن غيره ويعتمد عليه فيظهر ذلك بوضوح وجلاء كي يقف القارئ على اصل الاخبار وطرق نقلها ويقدرَ اهميةَ كل رواية بنفسها فتراه مثلًا يشير الى عبارةٍ وردت في تاريخ ميخائيل السرياني فيقول ان هذا المؤرخ اخذها عن يوحنا الافسسي وانّ ما نقرأه في ابن العبري هو مختصر عنها (ص ٢٧) . واذا ما لاحظ عند بعض المؤرخين ضعفاً في الرواية او نقصاً في التحقيق والتدقيق نبَّه القارئ اليه وحذَّره من الاسراف في الاعتماد عليه ، كقوله مثلًا عن حمزة الاصفهاني انه « عُرِف بشدّة ميله الى اقصى انواع التطبيق والتلفيق إن في التاريخ او في اللغة » وإنه لم يكن من طبيعته « ان يتقيد تماماً . . . . بالأصل الذي ينقل عنه » (ص ٥٤) . وكذلك فانه يسعى الى اظهار ميول المؤرخين الخاصة ونزعاتهم الشخصية كيما يعتبر القارئ ذلك كُلَّه عند مطالعة اقوالهم ورواية اخبارهم ، فيصف مثلًا يوحنا الافسسي بانه متعصب لآل جفنة ، حماة مذهبه ، ويحذّرنا من ان نعلّق اهميةً كبيرة على اقواله (ص ٢٥ و ٢٩) . وكلُّ هذا ، كما هو معروف ، هو من القواعد الاساسية في الطريقة العلمية الحديثة في كتابة التاريخ .

وأخيرًا ، بعد ان يضبط الاستاذ نولدكه نصوص الروايات كما وردت في المصادر الاولية بمقابلة الطبعات والمخطوطات الاصلية ، وبعد ان يعتبر صفات صاحبها المؤرخ من أمانة في النقل او عَبَثٍ في المصادر ، ومن قوّةٍ او ضعف في التدقيق ، ومن نزعات وعوامل شخصية ، يعمد الى الخطوة الأخيرة فيُحَلّل كلَّ خبرٍ من الاخبار قصد التثبت من صحته او سقمه ، وهو يسعى الى ذلك بمقابلة الاخبار المختلفة ومقارنتها بما هو معروف من الحوادث المثبتة والتخلص من ذلك الى اثباتها او نفيها . وفي الرسالة ادلّة عديدة على طريقة المؤلّف هذه كتحقيقه مثلًا في ان الحارث بن جبلة هو نفس الحارث بن ابي شَمِر (ص ٢٢) او تدقيقه في درس العلاقة بين المعارك التي يروى انها وقعت بين الغساسنة واللخميين وهي عين أُباغ والحيار ويوم حليمة (ص ١٩–٢٠).

هذه هي الطريقة العلمية التي تدرَّج عليها الاستاذ نولدكه في بحثه . وقد عمد الى تطبيقها في قسمٍ من التاريخ العربي تضاربت فيه الروايات القديمة حتى اصبح من العسير جدًا على الباحث ان يتوصَّل الى ما تنطوي عليه من الحقائق التاريخية. ولذا فليس من الغريب ان لا يكون الاستاذ نولدكه مصيباً في كل نتيجةٍ من النتائج التي أخرجها في رسالته ، غير ان الطريقة العلمية التي اتبعها هي الأساس الوحيد الذي يبنى عليه التاريخ الصحيح.

وقد يجد من يطالع هذه الرسالة بعض العناء في قراءتها وفي تتبع طريق البحث خلال ما يكتنفه من التفاصيل العديدة والروايات المتضاربة ، ولعلّه يرى ان بعضَ المواد التي وردت في المتن كان أحرى بها ان تترك للحواشي كي لا تعرقل على القارئ سيره ولا تقطع خيوط تفكيره . فلو ان المؤلف صرف في سبيل تنظيم موادّ الرسالة وايضاح اقسامها بعض ما صرف من الجهد في تحقيق اخبارها وتمحيص نتائجها لجاءت جامعةً للميزتين: العلمية والأدبية — اللتين تتحلى بهما المؤلفات التاريخية الشهيرة.

وخلاصة القول إننا اذا قدّمنا هذه الرسالة الى العالم العربي فاننا لا نفعل ذلك اعتقادًا منّا بأنها الكلمة الأخيرة التي يمكن ان تقال في تاريخ الغساسنة،

بل لأنها افضل مــا كُتب حتى الآن في هذا التاريخ واصلح مــا يمكن ان يُتَّخذَ كأساس للأبحاث الجديدة في هــذا الموضوع ؛ وإنّا لنرجو ان يكون لهذه الرسالة نصيبٌ في تعميم الطريقة العلمية الحديثة في العــالم العربي فيعمد علماؤنا وادباؤنا الى اتّباعها في ما ينصرفون اليه من ابحاث تاريخية وادبية.

هذا وقد عرف بعض علمائنا هذه الرسالــة في تاريخ الغساسنة ورغبوا في ان تُنقل الى اللغة العربية كي تعين اهل هذه البــلاد على فهم هذه الحقبة من تاريخهم الغابر . ونخص منهم بالذكر المؤرخ المعروف الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف الذي أظهر ميلاً خاصاً الى هذا البحث وكان يأمل ان ينشر ترجمته العربية في مجلته « الآثار » قبل احتجابها.

ولا يسعنا أخيرًا الّا ان نقدّم شكرنا الخالص لكل من آزرنا في اخراج هذه الترجمــة ، ونخص منهم بالذكر الاساتــذة داود قربان وانيس الخوري المقدسي وجبرائيــل جبور الذين اتحفونا بملاحظاتهم القيّمة . ونودّ ان نشكر بنوع خاص الدكتور أسد رستم رئيس لجنة النشر بجامعــة بيروت الاميركية الذي لم يألُ جهدًا في سبيل تحقيق هذا المشروع.

بندلي جوزي قسطنطين زريق

جامعة بيروت الاميركية

١٣ ايار سنة ١٩٣٣

ملاحظات اولية

للمؤلف

إنَّ المصادر السريانية التي اكتُشفت خلال الخمس والثلاثين سنة الماضية قد زادت معلوماتنا عن العمّال الغساسنة زيادةً محسوسة . اضف الى ذلك انَّ عدداً كبيراً من المؤلفات العربية — التي كانت الى عهد قريب لا تزال مخطوطةً — قد نُشرت الآن واصبح من السهل استخدامها واستغلال فوائدها . ثم ان معرفتنا لتلك البلاد التي كان يسكنها لزمن ما امراء جفنة اخذت تنمو نمواً تدريجياً . كل هذا يدلنا على ان الوقت قد حان للقيام ببحثٍ جديد في تاريخ هذه الاسرة ، لاسيا وانَّ تلك الثقة الساذجة التي كانت المكتبة — حتى Caussin[1] — بالروايات العربية قد زالت اليوم من نفس كل متخصص في هذا الموضوع . فقد انقضى ذلك الزمن الذي كنا نعتبر به اقاصيص العرب الجميلة اخباراً تاريخية موثوقة ، واخذنا اليوم ننظر الى تطبيقات العلماء المسلمين نظرةً صحيحة فلا نعلّق عليها اهميةً اكثر مما تستحق . امَّا البحث المنظم المصطنع في تاريخ الغساسنة الذي يميل الى اتباعه كتّاب اوروبة على الاخص فانه يمثّل نظرة المؤرخين المتأخرين وهو اشد مخالفةً لسني التاريخ الثابتة من غيره من الابحاث التي تقلّ عنه تنظيماً وتفوقه بساطةً .

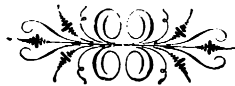
ولا بُدَّ لي من التصريح ان اكثر النتائج التي توصلت اليها سلبية وانها قد تظهر ضئيلةً جدًا ازاء ما اتى به Caussin . وليس ثمّة من امل شديد

---

١) A. P. Caussin de Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes avant l'islamisme ٢ : ١٨٩ وما يليه . وقد اعتمدت في كتابة مقالي « الغساسنة » في موسوعة Ersch وGruber على مؤلَّف Caussin هذا . ولكنني ارجو القارئ ان يأخذ بعين الاعتبار انني عندما اعددت ذلك المقال كنت لا ازال تلميذاً في العشرين من عمري . المزمور ٢٥ : ٧ !

باكتشاف معلومـــات جديدة ذات قيمة تاريخية عن هــذا الموضوع في المصادر العربية . ولعلّ النقوش او المصادر السريانية تنير لنا بعض النواحي التي لا تزال مجهولة .

وانني انتهز هذه الفرصة لاقدم خالص شكري لاصدقائي وزملائي الذين ساعدوني في اعداد هذه الرسالة . فقد تكرَّم الاساتذة الآتي ذكرهم بمراجعة بعض المخطوطات التي سألتهم عنها : Zotenberg ، Pertsch ، Guidi ، Wright ، Gottheil ، Geyer ، Jensen ، Bezold ، Kleyn . وتلطّف الاستـــاذ Rud. Schoell فاجابني عن بعض اسئلة تتعلق بترتيب الـــدرجات في الدولـــة البيزنطية . وتبادلتُ مع الاستاذ v. Gutschmid عدّة رسائل حول امور مختلفة تتعلّق بموضوعي كانت — كما أمّلت — جزيلة الفائدة في اعداد هذا البحث .



انَّ امراء البيت الحاكم الذي كان على رأس عرب سورية التابعين لدولة الروم في القرن السادس نزحوا مع غيرهم من قبيلة غسّان من جنوب جزيرة العرب الاقصى. على انه لا يسعنا في هذا المقام ان نتصدى لبحث المسألة المعقّدة التي تتعلق باصل هذه القبيلة ومنشأها الحقيقي. فنسّابو العرب يُرجعون نسب هذه الاسرة الحاكمة الى الملك عمرو بن عامر الذي أُلبست شخصيته مسحةً من الخرافة[1]. وهذا يتفق على الارجح مع الروايات القديمة، اذ ان سكان يثرب (المدينة) — الذين ينتمون ايضاً الى قبيلة غسان[2] — كانوا يُرجعون نسبهم الى عمرو بن عامر بحسب شهادة الشاعر حسَّان بن ثابت[3]. واذا رجعنا الى ابن الكلبي[4] والروايات المعروفة المأخوذة عنه لم نجد بين عمرو هذا وبين اول امير تاريخي معروف من الاسرة المذكورة — الحارث بن جبلة[5] — الا بضعة اشخاص نستدل عليهم من نسب الحارث بن جبلة الذي يروى على هذه الصورة: الحارث ابن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر.

وقد اجمعت الاحاديث التاريخية (كما في ابن هشام: ٨) والشعراء المعاصرون على ان جدّ هذه الاسرة هو جفنة. فالنابغة الذبياني دعا احد امراء هذا البيت القدماء بـ «الحارث الجفني» (انظر كتاب العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين طبع Ahlwardt ١ : ٧) واطلق حسَّان (ص ١٣) اللقب نفسه على

---

١) يظهر ان لقب «مزيقيا» مأخوذ اصلًا عن القرآن ٣٤ : ١٨. راجع حمزة ١١٦ : ٧ وما يليه.

٢) طالع عن هذه القرابة المعترف بها على العموم مجلة الجمعية الالمانية الشرقية ٤٠ : ١٧٨، حاشية ٤

٣) ديوانه (طبع تونس) ٦٧ : ١٢، ١٨

٤) هشام بن محمد؛ توفي سنة ٨١٩ — ٢٠ او ٨٢١ — ٢٢. وهو يعتمد في الغالب على ابحاث وتراكيب ابيه محمد بن السائب الكلبي المتوفى في سنّ متأخرة سنة ٧٦٣ — ٧٦٤. واني مدين فيما اخذته هنا عن الـ «جمهرة» مما يتعلق بامراء الغساسنة والاسر الاخرى التي تمت اليهم بنسب الى الاستاذ Wright الذي تكرّم فاستنسخها لي عن مخطوطة لندن (الملحق ٢٢، ٣٧٦)

٥) لاسبابٍ ظاهرة سنصطلح في هذه الرسالة على كتابة الجيم العربية بـ «g» الافرنجية

امير آخر من امراء هذا البيت . وسمّى العائلة باسرها « اولاد جفنة » (ص٧٢) و« آل جفنة » (ص ١٠٠) . ويُستنتج من قصيدة متأخرة له ان جفنة كان شيخاً من اهل العصور القديمة يفتخر به سكان يثرب الذين ينتمون هم ايضاً الى الغساسنة[٦] . وورد في شعر لعلقمة (٣ : ٤) وفي احدى القصائد المدرجة في تاريخ الطبري (١ : ٨٥٠ ، ٢٠) ذكرُ احد امراء غسّان فدُعي « ابن جفنة » ، الّا ان « جفنة » المقصود هنا هو ابو هذا الامير نفسه : واذن فهو شخص آخر متأخر عن جفنة جد الغساسنة . ومن الممكن ان يكون جفنة شخصاً تاريخياً حقيقياً ، ولذا فلا مانع من اطلاق اسم « آل جفنة » عموماً على العائلة باسرها . على انه يجب ان لا نستنتج من هذه التسمية ان كل من يُنسب الى جفنة كان من امراء البيت الحاكم في غسّان ، اذ انّ ابن الكلبي يُرجع الى جفنة نسب سلالة الاكثم بن ثعلبة التي كان يقيم قسم كبير منها بالمدينة[٧] .

وكثيراً ما يدعى جد هذه الاسرة ايضاً « ثعلبة » . ومن المرجح على الاقل ان تكون ام الامير الكندي Ἀρέθας ὁ Θαλαβάνης [الحارث الثعلبي] — كما ورد في تاريخ ثيوفانس (Theophanes) طبعة Bonn ص ٢١٨ — التي هي جدّة الملك الشاعر امرئ القيس — حوالي سنة ٥٠٠ — احدى بنات هذا البيت . ولعلّ هذا النسب نفسه ينطبق على « عرب الروم ‹ من آل ثعلبة › »[٨] الذين يذكر يشوع العمودي ، Josua Stylites ، (الفصل ٥٧) انهم غزوا الحيرة سنة ٥٠٣ . على ان شيوع اسم « ثعلبة » بين العرب يضعف من قوّة هذا الاستنتاج[٩] . وعلى كل حال فليس ثمة ما يمنعنا من الافتراض ان بين هذين :

---

٦) كان شعراء المدينة يباهون كثيراً باقربائهم من الملوك حتى انهم قالوا انهم ، اي اهل المدينة ، كانوا دائماً « ملوكاً » (راجع حسّان ٦٧ : ١٥ ؛ ٧٧ : ١٢ ؛ ٨٧ : ٧ ، ١٢ ؛ ٩١ : ١٥ . وابن هشام ٦٦٠ : ١٤ الخ)

٧) انظر شجرة الانساب (أ) في الملحق

٨) كان السوريون واليونان يلفظون في ذلك الوقت حرف التاء (ة) الواقعة في آخر الكلمة كالألف (آ) ، ولا غرابة في ذلك اذ ان اكثر القبائل العربية التي كانت لها علاقة بالامّتَين المذكورتين لم تكن في الغالب تستعمل الاعراب . اما في الاعصر السابقة فانهم كانوا يؤدون هذا الحرف بِـ ת : αθης او αθη

٩) ولكني لا اظن ان يشوع العمودي يعني هنا قبيلة ثعلبة التي تنتمي الى بكر بن وائل كما افترض Wright في ترجمته الانكليزية اذ من المحقق ان هؤلاء لم يكونوا من « عرب الروم »

ثعلبة وجفنة ، وبين احفادهما الذين تحققنا من وجودهم تاريخياً ، اشخاصاً عديدين لم تصل الينا اسماؤهم .

يروي حمزة الاصفهاني — الذي وضع تاريخه حوالي سنة ٩٦١ م . — جملة اخبار تتعلق بملوك غسّان الاقدمين فيرجع نسبهم الى جفنــة ويعيّن سني حكم كل منهم . غير انه لا بدّ من التصريح بانه ليس للائحتــه هذه ، التي يظنهــا القارئ العاديّ جديرة بالثقة والاعتبار ، اهمية تاريخيــة تذكر . ويكفي الآن لاظهار ذلك ان نلاحظ ان الحارث بن ثعلبــة حكم بحسب رواية حمزة عشر سنين فقط مع ان حكمه زاد في الواقع على الاربعين ، ثم ان حمزة يذكر بعد الحارث عدة امراء حكموا على زعمه نحو خمسة قرون مع انه من المحقق اليوم ان خلفاء الحارث لم يملكوا بعده اكثر من خمس وستين سنة والارجح أنّ مدة حكمهم لم تتجاوز خمساً واربعين .

اما ابن قتيبة (ص ٣١٤) فانه يعدّ اول ملوك بني جفنة ابا شَمِر الحارث ابن عمرو المعروف بمحرّق . والارجح عندي ان هــذا اللقب مأخوذ عن قصائد حسّان بن ثابت التي يذكر فيها « ابني محرّق » بين رجال الاعصر السالفة الذين كان يفتخر بهم سكان المدينة (٦٧ : ١٨ ؛ ٨٧ الخ)[١٠] . وكان ابن الكلبي قد اطلق قبلًا هذا اللقب على الحارث بن عمرو اخي جفنة ونسب اليه احدى القبائل النازلة في المدينة . وعلى كل حال فليس ضرورياً ان نعتبر «محرّقاً» هذا شخصاً آخر غير «محرّق» الذي سُمّيت به امراء بني لخم في الحيرة . يؤيد ذلك ان حسان بن ثابت يذكر في القصيدة نفسها ابا قابوس (النعمان بن المنذر) آخر ملوك الحيرة الذي كان يمتّ بقرابة — ولو بعيدة جدًا — الى اهل المدينة[١١] .

---

١٠) لُقِب في هاتين القصيدتين أَخ آخر من اخوة جفنة بـ« العنقاء » وقد عُرف بهذا اللقب فيما بعد (ابن دريد ٢٥٩ : ٤ ؛ ابن خلدون ٢ : ٢٧٩ اخذها ايضًا عن ابن الكلبي)

١١) كنّى احد الشعراء (العقد ١ : ١٨١ ، ٤ طبعة القاهرة) اميرًا من امراء اللخميّين بـ« ابن محـرّق » . وكذلك فان اسود بن يَعفُر — كما يقول بحقٍّ صاحب الصحاح تحت مـادة « حرق » — انما يعني اللخميين بقوله « آل محرّق » في بيت من الشعر شائع جدًا . ومثله المتمّم في المفضليات ٨ : ٤٠ (قـابله بقول الفرزدق في العقد ٢ : ٥٤ ، ٦ من اسفل) . الا اننا لا نعلم الى اي زمن ولا الى اي بلد يعزو الشاعر في ديوان الحماسة (١٨٨ البيت ٣) ذلك الـ« محرّق » الذي تنسب اليــه السيوف الشهيرة . والحقيقة ان المتأخرين لم يكونوا

اما ابو جبيلة الغساني الذي ذكر المؤرخون عنه انه اعان الاوس والخزرج على قهر اليهود[١٢] فيظهر انه من مختلقاتهم وليس في ذلك شيء من الغرابة لان تاريخ المدينة القديم حافل بالاحاديث والاخبار الموضوعة . واسم « جبيلة » هو تصغير « جبلة » الذي يرد كثيراً بين اسماء اسرة الغساسنة .

يستفاد من اخبار العرب ان بني جفنة استولوا على الحكم في سوريا بعد ان انتصروا على الضجاعمة من قبائل سَليح (ابن قتيبة ٣١٣ ، اليعقوبي ١ ، ٢٣٥ ، حمزة ١١٥) . وليس هذا الخبر بذاته بعيداً جداً عن الصحة . وقد افادني الاستاذ Gutschmid في كتاب بعثه اليَّ ان الضجاعمة هم سلالة Ζόκομος [زوكوموس] الذي عاش في اواخر القرن الرابع للمسيح وكان عاملاً (شيخ قبيلة φύλαρχος) لدى الروم في سوريا في زمن ازدهار سلطتهم كما يؤخذ من كلام المؤرخ سوزومن (Sozomenus) ٦ : ٣٨ . وقد كان خطر لي قبل ذلك ان Ζώγομος [زوجوموس] الذي ذكره ثيوفيلكت (Theophylact) في تاريخه ٢ : ٢ في سنة ٥٨٦ هو ضُجعم نفسه . وليس في لفظ هذه الكلمة ما يخالف هذا الاستنتاج : فمع انها وردت في اكثر كتب العرب بفتح الضاد (ابن دريد : ٣١٩) الا ان القاموس ذكرها ايضاً بالضم . على انني لا انكر ان في لفظ الـ Ζ اليونانية (بدلاً من ζ او بالاحرى δ) بالضاد العربية مجالاً للشك . ويظل استنتاجنا ضعيفاً فيما لو كانت ايضاً ζ او δ . وكذلك فان في مقابلة الـ k الجيم (g) شيئاً من الصعوبة . امّا فيما سوى ذلك فافتراضنا لا اعتراض عليه .

يؤخذ من رواية ابن خلدون (٢ : ٢٧٩ ، قابله بتاريخ حمزة ١١٥) ان الحلقة

يعرفون بالضبط من هو محرّق هذا . اما الشروح التي فسّر بها الكتبة هذا الاسم (مثلاً الكامل للمبرّد ٩٧) فهي لا تستند على اساس متين . والذي اراه ان محرّقاً هو اسم لا لقب ، والا لكانت دخلت عليه لام التعريف . ومع ان هذه موجودة في تاريخ حمزة المطبوع (١١٨ : ١٥) فهي لم ترد في مخطوطة ليدن ، كما انها سقطت ايضاً في العقد (١ : ١٨١ ، ٤) .

١٢) ابن الاثير ١ : ٤٩٢ ؛ على ان هذا المؤرخ الحصيف يصرّح بان الخبر المذكور هو من باب الخرافات . ونحن اذا افترضنا ان ابا جبلة كان قائداً لجيوش احد الامراء فخبر نصرته سكان يثرب على اليهود يكاد ، لبعد احتماله ، لا يحتاج الى نفي او معارضة . وبما ان اسمه لم يُذكر بين اسماء بني جفنة المعروفين ، فقد نسبه المؤرخون الى قبيلة اخرى (ابن الاثير في الموضع المذكور آنفاً وابن خلدون ١ : ٤٩٣ . قابلها بـ Wüstenfeld « تاريخ المدينة » ٣٤ — ٣٥)

الرابعة بعد ضُجعم[١٣] كانت آخر حلقات هذه الاسرة. ولا شك ان اسم داود اللثق[١٤] ، الذي ينسب اليه « دير داود » ، يدل على رجل مسيحي كان فيما يظهر عاملًا للروم في ذلك الوقت . اما الاشخاص الخمسة — الذين يجب ان لا ننظر اليهم بالترتيب المنظم الذي اورده اصحاب الانساب — فان مـدّة حكمهم لا تكاد تبلغ المئة سنة. وقد روى ابن دُريد (٣١٩) وابن الاثير (١ : ٣٧٢ وما يليه) وابن خلدون (٢ : ٢٧٨) وغيرهم[١٥] ان زيادًا (او ذياد ؟) ابن هَبولة اخا الضُجعمي الاخير او ابن عمه حارب حُجرًا آكل المرار الكندي جد الحارث المذكور آنفاً . فان صحّ هذا الخبر امكننا ان نستدل منه ان بني جفنة لم يكونوا قد استولوا بعد على سوريا[١٦] . ويورد حمزة الاصفهاني فيما يقابل هذا التاريخ ان جفنة نُصِب ملكاً من قبل القيصر نسطورس[١٧] ونحن نرى بشيء من التأكيد ان هذا الخبر يشير بالاحرى الى تعيين اول امير جفني من قبل القيصر اناسطاسيوس ، Anas-tasius ، (٤٩١—٥١٨) ونرى ايضاً انّ هذا الخبر عارٍ من تلك المسحة المصطنعة التي تعودنا ان نجدها في اخبار حمزة عموماً . أضِف الى ذلـك ان اليعقوبي — الذي كثيرًا ما تختلف رواياته في هذه الاسرة عن روايات غيره — يؤيد هـذا

١٣) يقول ابن قتيبة انه لم يكن من سليح سوى ثلاثة ملوك ولكنه يذكر اسماء اخرى غيرهم . اما المسعودي (٣ : ٢١٥) فانه ينسب هذه الاسماء الى سلالة اخرى من قبيلة تنوخ . ومن الممكن ان تكون اية واحدةٍ من هاتين الروايتين صحيحة

١٤) يذكر اليعقوبي (١ : ٢٣٥) دهمان بن العمق بدلًا من داود اللثق

١٥) يسمّي ابن هشام (٩٥٣) هـذا الرجل عمرًا بن الهبولة الغساني . وهذا اللقب « الغساني » يرتكز عـلى افتراض بعضهم ان سليحاً – التي يعدّهـا ابن الكلبي من قُضاعة (البكري ١٧-١٨) – تنتمي الى غسان (ابن قتيبة ٣١٢) ، فتكون اذن ، هي وبنو جفنة ، من قبيلة واحدة

١٦) بقيت الضجاعمة في اماكن اخرى الى زمن متأخر فقد جاء عن احد الشعراء (قيل انه النابغة) انه زار احدهم في بصرى او محل آخر قريب منها . (ياقوت ١ : ٥٨٨ ، ١٦) ، وقد ورد ايضًا ان رجالًا من الضجاعمة قاتلوا خالدَ بن الوليد في دومة الجندل (الطبري ٢ : ٦٤ الخ طبعة Kosegarten)

١٧) جاء في مخطوطة ليدن « قسطورس » بضبط السين والراء ضبطاً ظاهرًا. اما في « مجمل التواريخ » الذي يعتمد صاحبـه ، كما هو معلوم ، على تاريخ حمزة فقـد كتبت « بسطورس » (مخطوطة باريز ص ١١٣) . ولقد تكرّم عليّ بهـذه الملاحظة الاستاذ Zotenberg

الخبر ايضاً ، الا انه يحرّف اسم القيصر فيدعوه نوشر[18] .

يقول حمزة وابن قتيبة ان اول امير جاء بالغسانيين الى سوريا هو ثعلبة بن عمرو المذكور آنفاً ، وهذا ما تؤيده الروايات القديمة . وعليه يصبح ما افترضناه سابقاً — من أنَّ الاسرة دعيت باسم هذا الشخص — افتراضاً معقولاً ، ولكنه قد لا يتفق مع الحقيقة التاريخية . وابعد من ذلك ان يكون هذا الامير عاملاً رسمياً لدولة الروم . أضف الى ذلك ان حمزة نفسه يفرق بين ثعلبة هذا وبين سميٍّ له من آل جفنة وانَّ ابن خلدون (٢ : ٢٧٩) — الذي يستند الى مصدر قديم — لا يعدّه من بني جفنة بل من اقاربهم الابعدين . ولكن ليس لهذا الامر اهمية في نظرنا . اما ابن قتيبة فانه يقول (ص ٣١٣) انَّ الذي جاء بالغساسنة الى سوريا هو ثعلبة الجفني الَّا انَّ اقواله مشوّهة لا يصح الاعتماد عليها لما مازجها من الروايات المكية الملفقة .

ليس في نظري بعيداً عن الصحة ان يكون جبلة Γαβαλας[19] الذي يروي عنه ثيوفانس (٢١٨ ، طبعة بون) انه غزا فلسطين حوالي سنة ٥٠٠[20] (لا يمكننا

---

١٨) « نسطورس » محرّفة عن « نسطوس » (الذي يقابل في السريانية ܢܣܛܘܣ، لان اسم نسطورس كان معروفاً لدى المسلمين اكثر من هذا الاسم الثاني (كما يظهر من المسعودي ٢ : ٢٢٨ وابن الاثير ١ : ٣٢٧ ، ٨ وابي الفداء .Hist. anteisl ١١٢ : ١٢ وسعيد بن البطريق « Eutychius ») . اما الطبري فانه يُبقي هذا الاسم بصورة « نسطوس » (٢ : ٩٢ ، ٧ و١١٧ ، ٤ طبعة Kosegarten) ، ونجده ايضاً بصورة « نسطاس » في قائمة المسعودي (٢ : ٢٦١) وفي حمزة (٧٤-٧٥) وابن الاثير (١ : ٣٢٧) ، وكتبه الطبري (١ : ٧٤٣ ، ١٥) بصورته الكاملة «انسطاس» وكذلك عند سعيد بن البطريق (٢ : ١٣٠ وما يليه) . اما ابن العبري (Chron. ar ١٤٨) فقد حرّفه الى « انا سطس » ، الا ان هذه الاسماء ترجع كلّها الى مصادر كتابية اجنبية . وجاء هذا الاسم ايضاً في تاريخ اليعقوبي (١ : ١٧٥) وابي الفداء (.Hist. ant ١١٢ قابله بالحاشية ٢٢٢) محرّفاً عن صورته الاصلية هكذا : « انسطيوس » . اما « نوشر » فمحرّفة كما يظهر لي عن « نوس » وهذه عن « نسطوس »

١٩) هكذا ورد في اضبط المخطوطات التي اعتمد عليها de Boor . اما الصورة العامّية لهذا الاسم فهي Γάμαλος [جَمَلوس] . (انا لا اتعنَّت كثيراً في ضبط النبرة على الالفاظ العربية المكتوبة باحرف يونانية ولذا لا اعلّق اهمية كبيرة على طريقة كتابتي لها)

٢٠) يذكر المؤرخ اواجريوس (Euagrius) كيف عاث العرب في فلسطين ويتكلم عن ذلك بايجاز (٣ : ٢٦)

تعيين هذه الحادثة بالضبط في سنة٤٩٧—٩٨) من افراد هذا البيت واباً للحارث بن جبلة ، اذ انه كان من عادة الروم ، في حال كهذه ، ان يعيّنوا شخصاً عليه مسحة من التمدن لحراسة حدودهم من اخوانه سكان الصحراء . امّا اسم « جبلة » فيظهر انه لم يكن شائعاً وقتئذ بين العرب . نعم ، ان احد امراء كندة كان يدعى بهذا الاسم (Wüstenfeld : Stammtafeln ، ٤ : ٢٤) ولكنَّ هذا الامير هو جدّ الاشعث بن قيس من حضرموت في الجنوب الاقصى من الجزيرة وليست القرابة بينه وبين امراء كندة الذين كانوا يقيمون فى الشمال الا من الاساطير المتأخرة[٢١] .أضف الى ذلك انه ليس ثمّة ما يستدل منه ان بين Γάβαλος المذكور آنفاً وبين حجر (Ἄγαρος) الكندي — الذي كانت له مع الروم في ذلك الزمن مناوشات عديدة — قرابة ما[٢٢] .

وعلى كل حال ، فلا شك في ان اوّل امراء بنى جفنة واعظمهم شأناً هو الحارث بن جبلة Ἀρέθας τοῦ Γαβάλα ܚܪܬ ܒܪ ܓܒܠܐ[٢٣] وهو ، على ما يظهر ، نفس الحارث الذي يذكره المؤرخ السرياني ملّالا (Malalas) ٢ : ١٦٦ (طبعة اكسفورد) ويدعوه عاملًا للروم.

ولكن من الضروري ان نفرّق بينه وبين الحارث الاخر المذكور في صفحة ١٦٥ الذي يظن الاستاذ Gutschmid بحق انه الحارث بن عمرو امير كندة المذكور آنفاً[٢٤] .

---

٢١) راجع ابن حجر (١ : ٩٧) . اما ابن هشام (ص ٩٥٢) فانه لا يردّ نسب الاشعث الى الملك حُجر المشهور في الاقاصيص ، وانما يظهر من قوله انه – اذا كانت ثمّة قرابة بينهما – فهي من جانب الامّ

٢٢) يقول ثيوفانس ان رومانوس نجح في امور ثلاثة : ١ً) انتصر على جبلة ٢ً) استرجع جزيرة يوتابة (Iotabe) التي كان استولى عليها سنة ٤٧٣ عامل البطراء Ἀμορκέσος τοῦ Νοκαλίου γένους (انظر Malchus طبعة Dindorf ٢٨٥) و٣ً) انتصر على Agaros

٢٣) او ، بكتابة اخرى ، ܚܪܬ الخ . . .

٢٤) طالع ترجمتي للطبري ص ١٧١ .من المحقّق ان المنذر ملك الحيرة انتصر على الكندي انتصاراً باهراً ، اما الذين قتلوا الملك الحارث فهم بنو كلب كما جاء في الاغاني ٨ : ٦٤ .ونرى هنا ان اقوال المؤرخ ملّالا تؤيد الروايات العربية بدلًا من ان تصححها .ولا بأس ايضاً من الاشارة الى الشعر الذي اورده الطبري (١ : ٨٥٢ ، ١ : ٨٢ ، من ترجمتي) . ولنلاحظ ايضاً ان الحارث المقصود في البيت الذي يُعزى – دون برهان ثابت – الى لبيد

حدّث مَلَالا (٢ : ١٦٦) ان الحارث (بن جبلة) حارب المنذر امير الحيرة وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة ٥٢٨ [٢٥]. وقد جاء في حديثه هذا ذكر اميرين : Γνούφας [جنوفاس] وΝααμάν [نعمان] هما على الارجح من انسباء هذه الاسرة الاقربين ، لان لفظ Γνούφας — الذي لا يمكن ان يكون صحيحاً لان الكلمات العربية لا تبتدئ عادة بحرفين صامتين ساكنين — انما هو محرّف عن Gufna . وهذا اللفظ الاخير لا يبعدُ ان يكون صورةً اخرى ا Gafna (جفنة) كما لا يبعد ايضاً ان يُسمى احد اعضاء العائلة باسم مؤسسها [٢٦]. اما النُعمان — او كما يكتبه الروم دائماً Νααμάν [٢٧] — فقد ذُكِرَ بعد ذلك مرتين بين اسماء هذه الاسرة.

لا ريب في ان عامل فلسطين [٢٨] الذي أبلى بلاءً حسناً في قمع ثورة السامريين سنة ٥٢٩ (ملالا ٢ : ١٨٠) [٢٩] — هو الحارث بن جبلة هذا . ولا يضعف من قوة هذا الاستنتاج ما ورد في Land : Anecd (٣ : ٣٦٢) من ان الجيش الذي قاتل السامريين كان مؤلفاً من الروم والشرقيين (ܛܝܝܐ) في (ولاية) بلاد العرب (ܘܕܐܘܪܚܝܐ) وذلك لانّ سلطة عمّال الروم ما كانت لتقف عند حدود الولايات

والذي حُفظ لنا في ديوان الحماسة للبحتري (مخطوطة ليدن ص ١٢٦) انما هو نفس هذا الحارث الكندي. ويقول الشاعر في هذا البيت ان الحارث هجر مسكنه « عاقلًا » (راجع مادّة « عاقل » في ياقوت)

٢٥) ان التاريخ الذي تعينه المخطوطة — بحسب مقابلة زميلي Neumann — هو شهر نيسان والاندكتيون السادس . ولكنه لم يرد في النسخة المطبوعة حتى ولا في طبعة بون. اما في تاريخ ثيوفانس (ص ٢٧٥) فقد ذُكر في غير موضعه

٢٦) سبق Caussin de Perceval واشار الى ان Γνούφας محرّف عن جفنة (٢ : ٢٣١)

٢٧) لا استطيع هنا ان ابحث في اسباب الاختلاف الصوتي الظاهر بين لفظ الاسماء العربية المؤداة باليونانية وبين اصلها العربي. فتلك مسألة في غاية الصعوبة

٢٨) اي فلسطين الثانية (او الثالثة ؟) لانه لم يكن في فلسطين الاولى متسع لعامل عربي

٢٩) وردت مختصرةً عند ثيوفانس (ص ٢٧٤) . اما تاريخ الثورة فقد حدَّده M. Appel في بحثه المدقق Quaestiones de rebus Samaritanorum sub imperio Romanorum peractis » (غوتنغن ، ١٨٧٤ ص ٨٤) معتمداً في ذلك على مقابلة النصوص في « حياة القديس سابا» (راجع Cotelerius ٣ : ٣٤٩ و٣٥٢ وما يليه) . وقد أُخمدت هذه الثورة في السنة نفسها اذ ان القديس سابا سافر في شهر نيسان سنة ٥٣٠ الى القسطنطينية ليطلب من الحكومة مساعدة الكنائس التي اصيبت فيها

كما سترى فيما يلي.

يذكر پروكوپيوس (Procopius) في تاريخه (Pers. ١ : ١٧) ان الامبراطور يوستينيان رقّى الحارث بن جبلة الى رتبة ملك وبسط سلطته فوق قبائل عربية متعددة وان غرضه من ذلك كان ان يقيم خصماً قوياً في وجه المنذر : ملك عرب الفرس. ومن المرجح انه لم يكن للروم، قبل ايام الامبراطور المذكور، عمّال كبار من العرب في سوريا وانه لم تكن لاحد من الضجاعمة او لامراء كندة — الذين خضعوا مدةً من الزمن للسلطة الرومانية — او لغيرهم من امراء العرب[٣٠] سلطة تضاهي ما توصل اليه بنو جفنة فيما بعد. ومع ان پروكوپيوس لم يحدّد السنة التي رُقّي فيها الحارث الى هذه الرتبة فقد يستفاد من النص ان ذلك كان في سنة ٥٢٩. وفي شهر آذار من السنة نفسها غزا المنذر الحيري سوريا وعاث في الارض فسادًا دون ان يصيبه عقابٌ ما (ثيوفانس ٢٧٣).

مع ان المؤرخ پروكوپيوس يصرّح بان الحارث بن جفنة كان حائزًا لرتبة ملك — ἀξίωμα βασιλέως — فانه لا يصح ان يكون الحارث او احد خلفائه قد حمل رسمياً لقب βασιλεύς [ملك] لانّ هذا اللقب كان خاصاً بالقيصر وحده. ومن الغريب ان نرى كتبة اليونان، حتى اولئك الذين حاولوا

---

٣٠) كـ Τερεβών [تِربون] وابنه Petrus وحفيده Terebon الذين وردت عنهم اخبار شائقة في « حياة Euthymius » (راجع Cotelerius ج ٢). من ذلك ان « تِربون » الاكبر اقام مدةً طويلةً في سجن بُصرى لان عاملًا آخر شكاه الى السلطة ثم توسط له Euthymius (المتوفى في ٢٠ كانون الثاني سنة ٤٧٣) فعُفي عنه. والمظنون ان اباه جاء هاربًا من بلاد الفُرس لانه دافع عن المسيحيين حين اضطهدهم الملك يزدجرد (٤٣٨ – ٤٥٧). اما الاسم الذي يُطلق عليه احيانًا – Ἀσπέβετος [أسپتوس] – فهو في الحقيقة اللقب الفارسي spehbet (A) = στρατηλάτης [القائد]. وكثيرًا ما كان يُرى على رأس القبائل العربية افراد اجانب من اهل الجدارة والسلطة. اما اسم Τερεβών فالارجح انه نفس « ظَرِبان ». ولو لم يكن المقطع الاخير ممدودًا (ων) لقلت انه نفس اسم « ظَرِب » الذي يَرِد بين اسماء العائلة المالكة في تدمر كما جاء في اخبار العرب. وربما كان قد وقع تحريف في هذا الاسم، وهذا امرٌ طبيعي لبُعد الزمن بين الرجلين (حوالي مئتي سنة). وهناك ايضًا ذِكر عامل آخر يدعى Ταφάρας الهب (ظَفَر او اظفر) قُتل في صيف سنة ٥٢٦ في ما بين النهرين حيث كان يحارب الفرس تحت قيادة بليزاريوس بعد ان ابلى في هذه الحرب بلاءً حسنًا (ملالا ٢ : ١٧٥، Land ٣ : ٢٥٧ قابله بـ ٢٥٩ : ٢)

ان يكتبوا بلغة صحيحة ، يطلقون احياناً لقب βασιλεύς على الامراء التابعين[٣١] ويتجنبون استعمال كلمة φύλαρχος [شيخ قبيلة] التي تطلق عـادةً على امراء العرب لانه كان لهذه الكلمة ، في زمن ما ، معنى آخر في اثينا[٣٢] . وامـا ان السريان كانوا يسمّون احياناً امراء العرب في سوريا « ملوكاً » ܡܠܟܐ (مثلا مجموعة Wright ٤٦٨ ب ، ويوحنا الافسي ص٢٧٤ : ١٥ ، ٣٤٤ : ٣ من اسفل ، ٣٤٩ ، ٣٨٣ : ٤) فهذا لا يثبت شيئاً ، واقل منه اهمية اطلاق هذا اللقب نفسه على هؤلاء الامراء في الاشعار العربية . ذلك لان الوثائق التي تمثّل لغة الحكومة الرسمية المستعملة حينذاك لم تكن تطلق على الحارث او خلفـائه سوى لقب بطريق[٣٣] (Patricius) او رئيس قبيلة (Phylarch) مصحوباً بنعت من النعوت التابعة لاحد هذين اللقبين . وقد ورد اللقب الكامل في نقش يرجع الى ابن الحارث وخليفته بهـذه الصورة : Φλ (άβιος) Ἀλαμούνδαρου ὁ πανεύφημος πατρίκ(ιος) καὶ φύλαρχος [فلابيوس المنذر البطريق الفائق المـديح ورئيس القبيلة] راجع Wetzstein ١٧٣ (Waddington ٢٥٦٢ ج) . وجاء في كتابة اخرى ترجع الى صيف سنة ٥٧٨م ما يأتي : ἐπὶ τοῦ πανευφ(ήμου) Ἀλαμουνδάρου πατρ(ικίου) [او على المنذر البطريق الفائق المديح] Waddington ٢١١٠ .

---

٣١) هكذا لقّب سوزومن (٦ : ٣٨) ماويّه : βασίλισσα [ملكة]

٣٢) راجع مثلًا پروكوپيوس في المحل المذكور آنفًا :
...ἡγούμενος. οἱ φύλαρχοι ἐπικαλοῦνται [وكان شيوخ القبائل يُدعون قوادًا]فكأنه يذكر كلمة غريبة او عامية .وقد استعمل هذا الكاتب وغيره مثل اواچريوس (٦ : ٢) ، ومناندر الحامي [Menander Prot] (الفصل ١١ من الآخر) وثيوفيلكت(٣ : ١٧) كلمة Ἡγούμενος مرارًا عديدة بدلًا من φύλαρχος .ونجد كلمة φύλαρχος مستعملة في هذا المعنى في اواسط القرن الرابع عند بعض الكتبة كاميانوس Ammian : ٢٤ : ٢ ، ٤) وسوزومن (في المحل المذكور سابقًا) .وقد عثروا على كتابة حجرية ترجع الى القرن الثاني فيها ما يأتي :
« Ἀδριανὸς ὁ καὶ Σοαῖδος Μαλέχου ἐθνάρχης στρατηγὸς νομάδων »
[ادريان وسُعيد بن مالك الحاكم وقائد البدو] . (راجع مجموعة نقوش Wetzstein رقم ١٠ = Waddington رقم ٢١٩٦

٣٣) أُطلق لقب « بطريق » سابقًا على امير عربي من قبيلة كندة Dindorf : Malchus ١ : ٢٨٦)

وقد اسند المؤرخ ثيوفانس (ص ٣٧١ : تشرين الثاني سنة ٥٦١) الى الحارث لقباً رسمياً بالصورة التالية : Ἀρέθας ὁ πατρίκιος καὶ φύλαρχος [الحارث البطريق ورئيس القبيلة] . وهذا اللقب الرسمي عينه ورد في تقارير المجامع الروحية (الكنائسية) التي التأمت تحت رعاية الحارث وخليفته وقد حفظته لنا الى هذا اليوم الترجمة السريانية التي وضعها احد علماء ذلك العصر الثقات في زمن كتابة التقارير او بعد ذلك بزمن قليل[٣٤] . فهناك نقرأ مرة ما يلي :

ܦܛܪܝܩܐ ܡܫܒܚܐ ܚܪܬ (ص ٥٨ ب) اي ὁ πανεύφημος πατρίκιος Ἀρέθας [البطريق الفائق المديح الحارث] . اما لقب « بطريق » فكان يوضع دائماً امام اسمي ܚܪܬ [الحارث] و ܡܢܕܪ [المنذر]: راجع Wright ٧١٣ ب . غير ان اللقب العادي هو ܡܫܒܚܐ = ὁ ἐνδοξότατος [الاشهر، الامجد][٣٥] وقد ورد مرة (ص ٨٥ أ) ܡܫܒܚܐ ܘܪܚܡ ܡܫܝܚܐ = ὁ ἐνδοξότατος καὶ φιλόχριστος (πατρ. Ἀρ.) [الامجد ومحب المسيح (الحارث البطريق)] ؛ وبالعكس ܪ̈ ܡ ܘ ܫ (ص ٧٦ أ) ؛ ومرة اخرى (٧٩ أ) ܡܫܒܚܐ ܘܡܗܝܡܢܐ =(?) ὁ ἐνδοξότατος καὶ εὐσεβέστατος [الامجد والحسن العبادة]. واما اللقب الذي ورد مرة (ص ٧٩ ب) ܪܒ ܦܛܪܝܩܐ ܦ ܚܪܬ فهو تأدية ὁ μεγαλοπρεπέστατος πατρ. [البطريق الاعظم ، الافخم][٣٦]. وذكر يوحنا

---

٣٤) راجع مجموعة Wright ٧٠١ وما يليه . لقد اطلعت على المواضع التي يذكرها Wright بواسطة صديقي الدكتور Kleyn من Wijngaard (هولاندة) الذي تكرم فاستنسخ لي كل هذه النصوص

٣٥) كانت تستعمل غالباً الصيغة الاخرى لاسم الفاعل من هذا الفعل لتأدية المعنى المذكور : ἔνδοξος [الشهير او المجيد] وهي ܡܫܒܚ. ܡܫܒܚܐ (طالع النسخة البسيطة Peschito والنسخة الهرقلية [Harqelan] للكتاب المقدس : لوقا ٧ : ٢٥ ، افسس ٥ : ٢٧ ؛ والنسخة الهرقلية : ١ كورنثوس ٤ : ١٠) . واما اللقب الرسمي ὁ ἐνδοξότατος πατρίκιος فكان يؤدى بالسريانية ܡܫܒܚܐ ܦܛܪܝܩܐ [البطريق الاشهر او الامجد]. راجع يوحنا الافسسي ٣٤٢ : ٥ ، ٤١٤ وما يليه . Land ٢ : ٨٨، ٥ ؛ ٢٦٧ ، ٣ من اسفل. وقابله ايضاً بـ ܡܫܒܚܐ الذي يطلقه يوحنا الافسي على احد البطارقة دون ان يعين رتبته (٣٤٣ : ٤) وعلى احد القناصل (٨٧ : ٦–٧) BB يستعمل ܡܫܒܚܐ رأساً لتأدية ἔνδοξος. راجع Payne Smith ١٠٥٥

٣٦) يفضل Rud. Schoell أن يتخذ هذا اللقب السرياني كترجمة اخرى للقب اليوناني πανεύφημος ، وقد كنت ذهبت الى ذلك فيما مضى. غير انه يظهر ان المترجم السرياني يثبت عادةً على ترجماته لهذه الالقاب .

الافسسي مرّةً (٢:٢٦٥)[٣٧] اللقب الآتي : ܡܥܠܝܐ ܦܛܪܝܩܐ ܐܠܡܢܕܪܘܣ اي ὁ ἐνδοξότατος πατρίκιος Ἀλαμούνδαρος [المنذر البطريق الامجد] ودعا كبيرُ موظفي الدولة الرومانية المنذر رسمياً « السيد البطريق » حتى بعد ان كان أُنعم عليه بـ « التاج » (يوحنا الافسسي ٣ : ٤١)

قلنا ان لقب βασιλεύς [ملك] كان يطلق في دولــة الروم على القيصر فقط[٣٨] . على ان لقب « بطريق » كان على كل حال لقباً سامياً جدًّا حتى ان ملوك البرابرة المستقلين كانوا يغتبطون بالحصول عليه وذلك لان طبقة البطارقة كانت تُعدّ عند البيزنطيين اعلى الطبقات الاجتماعية على الاطـلاق[٣٩] . فرتبتهم كانت ارقى من رتبة القناصل وعلاقتهم بالقيصر تشبه علاقة الكرادلة بالبابا . وكان يطلق عليهم ، كما على سواهم من اهل الطبقات العليا ، لقب ὁ ἐνδοξότατος[٤٠] او vir illustris (ἰλλούστριος = الاشهر] . وقد نقل السريان هذا اللقب الى لغتهم (ܡܥܠܝܐ او ܡܥܠܝܐ) واطلقوه على الامراء الغسّانيين . وكان يطلق هذا اللقب احياناً على اولاد العمال كما يظهر من احد النقوش المــذكورة آنفاً

---

٣٧) وفي اماكن اخرى يقتصر هــذا المؤرخ على اللقب التالي : ܡܥܠܝܐ ܡܢܕܪ [المنذر الاشهر او الامجد] = ὁ ἐνδοξότατος Ἀλ. ١٢ : ٢٧١ ، ١٧ او ܢܨܝܚܐ ܡ [المنذر الفاضل] ٢٦٦ — ٦٧

٣٨) كان يُطلق لقب Rex [ملك] ايضًا على امراء البرابرة الذين كانوا يُعَدّون ، ولو نظريًا فقط ، من ضمن الامبراطورية . ولذا فقد اطلق القيصر رسميًا على Theodorich لقب rex باللاتينية ولكن ليس لقب βασιλεύς . اما اذا كانت كلمة ῥήξ مستعملة في ذلك الوقت في اللغة الرسمية ام لا فهذا امر لا استطيع البتّ فيه ، وعلى كل حال فمن المستبعد ان يكون مرادف هذه الكلمة βασιλίσκος [في السريانية ܒܣܝܠܝܣܩܐ] مستعملًا حينذاك

٣٩) راجع Codex Justin ١٢ : ٣ ، ٣ ؛ ١٢ : ٣ ، ٥ و Novella ٨١ (طبعة Zachariae م ٢ : ٣٠) ويوحنا الافسسي (٣ : ٢٢) الخ . وقد دعاهم القيصر مَرّةً « آباءه » (Codex و Novella في نفس المواضع) . قابل ذلك مع مناندر الحامي (الفصل ٨ : ٢٩ ، ٤٩) و Ducange تحت مادة Patriciatus

٤٠) جدير بالاعتبار انه كان للصفة العادية ἔνδοξος [شهير ، مجيد] منزلة اعلى بكثير من الصفة التفضيلية ἐνδοξότατος [الاشهر ، الامجد] لانها كانت من القاب القيصر ، ...εὐσεβὴς εὐτυχὴς ἔνδοξος νικητὴς τροπαιοῦχος... [. . . الحسن العبـادة ، السعيد ، المجيد ، القـاهر ، الظافر . . .] وفي اللاتينيــة pius felix *inclitus* victor ac triumphator

(Wetzstein ١٧٣) حيث ورد : ἐνδόξ(οτάτων) αὐτοῦ τέκνων [اولاده الاماجد] . اما لقب πανεύφημος [الفائق المديح] فقد كان يطلق خاصةً على هؤلاء العمال وهو اقلّ ورودًا من غيره في النقوش ويعادل في رتبته لقب ἐνδοξότατος . راجع ما جاء في احد نقوش Waddington (رقم ٢١١٠) وقابله بالعهد الذي ورد تحت تاريخ ٨ تشرين الثاني (Zachariae ١ : ١٢٣) وبالاخص تحت تاريخ ٢٩ تشرين الثاني (Zachariae ١ : ٢٠٤) حيث نجد موظفاً من اعلى موظفي الدولة ، الـ(Quaestor Palatii) ، ملقباً بـπανεύφημος ولقبه عادة هو ἐνδοξότατος . وهناك ايضاً لقب ὁ μεγαλοπρεπέστατος vir magnificus [الافخم ، الاعظم] الذي اذا صحّ ظني وكان نفس اللقب السرياني ܡܪܝܐ ܡܘܬܪܐ يكون مما يتحلى به اصحاب درجة «Illustres» : راجع .Nov ١٣ : ٣ (Zachariae ١ : ٢٢٦) و .Nov ١١٤ (Zachariae ٢ : ١٧٥) . على انه يظهر لي ان هذا اللقب الاخير لم يكن محدّدًا ومختصاً باصحاب طبقةٍ معلومة من كبار الدولة كسائر الالقاب التي ذكرناها[٤١] .

بقي الآن لقب آخر : Flavius الذي كان يُنعم به احياناً قياصرة الروم على البعض من رعيتهم وقد دُعي به ايضاً الامبراطور يوستينيان وسلفاؤه . على انني لم أُوفق لسوء الحظ الى معرفة الاشخاص او الطبقات التي كان يحق لها ان تلقّب بهذا اللقب[٤٢] . فمن الذين أُنعم عليهم به القائد الشهير بليزاريوس : راجع Novella ٤٧ (Zachariae ١ : ٤١٣) ولكنه أُطلق ايضاً على جماعةٍ من الاعيان من غير

---

٤١) يأتي بعد ὁ ἐνδοξότατος = vir illustris لقب ὁ λαμπρότατος [الاسنى] = vir clarissimus ثم ὁ περίβλεπτος [المُمَجّد] = spectabilis وكلاهما من القاب الطبقات العُليا الشريفة

٤٢) حبذا لو قام عالم قدير وشرح لنا بوضوحٍ نظام الدولة البزنطية الكامل على عهد الامبراطور يوستينيان وحدّد لنا ترتيب الدرجات والالقاب : الامر الذي له – كما نعرف الآن – اهمية خصوصية في نفسه . والصعوبة هنا ليست في قلة المصادر وانما في شعورنا عند جمعنا المواد بانه لا بدّ ان نسهو عن اهم الامور في احيان كثيرة . ومع أن Ducange جمع مواد كثيرة عن لقب Flavius فانه لم يحلّ المسألة التي تعترضنا . وقد كتب اليَّ .Rud Schoell انه يظن أن لقب Flavius مرتبط بالدرجة البطريقية ، ولكنه لم يتثبت بعد من ظنّه هذا

طبقة البطارقة[٤٣] وعلى البعض من اهل الطبقة الوسطى[٤٤] .

على كل حال ، لا ريب في انه كان لامراء بني غسان منزلة سامية جداً في مراتب الدولة البزنطية كما انه لا ريب ايضاً في ان عامة الناس في الشرق مـا كانوا ليدققوا كثيراً في معنى هذه الالقاب ودرجاتهـا فكانوا يطلقون على من كانت له سلطة كسلطة بني غسان ووجاهة كوجاهتهم لقب « ملك » وكفى[٤٥] .

منذ سنة ٥٣٦ م . اصبح اسم « phylarch » [رئيس او شيخ القبيلة ، عامل] اللقب العادي الذي يُعرَف به صاحب السلطة في ولاية بلاد العرب[٤٦] . غير ان سلطة هذا العامل كانت مقيَّدة بسلطة الحكام المدنيين والحربيين المعيَّنين من لدن الحكومة المركزية (راجع .Nov ١٠٢ ؛ Zachariae ١ : ٣٥٧ ولاشك ان الحارث الذي يرد اسمه هنا في هذا المصدر هو الحارث بن جبلة) امـا في المراسيم المتعلقة بولاية فينيقية لبنان (Phoenicia ad Libanum)[٤٧] فقد ورد هذا الاسم مصحوباً بلقب λαμπρότατος [الاسنى] . راجع .Ed ٤ ، Zachariae ١ : ٣٦٦ . وقد أُطلق هذا الاسم ايضاً على عمال هم ادنى مرتبة من العمال الغساسنة– اي من طبقــة viri clarissimi لا illustres — وكان عدد هؤلاء العمّال في تلك الولاية ذات الصحاري الواسعة غير قليل . وكانوا كلهم يرجعون في زمن الحرب وفي بعض امور في زمن السلم ايضاً الى العـامل الاكبر من آل جفنة الذي كانت سلطته تمتد الى تدمر وما وراءها . وقد عثرنا على اسم احد هؤلاء العمّال الصغار شرَحيل بن ظـالم في النقش الشهير المكتوب باللغتين اليونانيـة والعربية الذي اكتُشف في حرّان شرقي دمشق (اي في ولاية فينيقيـة لبنان)

---

٤٣) راجع Waddington ١٩١٣ ، ٢١١٠ حيث أُطلق هـذا اللقب على احد موظفي المنذر ولعلّ السبب هو انه كان من موالي المنذر الذي كان يحُق له حمل هذا اللقب

٤٤) .Wadd ٢٤٧٧ . في الازمنة المتقدمة اي منذ ان بنى الامبراطور قسطنطين — الذي كان هـو ايضاً يُلَقَّب : Flavius – المكان المسمّى Brâq كان هذا اللقب يُطلق على جميع سكان هذا المكان . Waddington ٢٥٢٧ أ , ب و Unexplored : Burton and Drake ٢ ، Syria رسم ٤ رقم ٥٧ (اقرأ Ζοννῆμος τρίβουνος ..(?)

٤٥) لقد أُطلق هذا اللقب « ملك الشرقيين » حتى على ظَفَر احد الشيوخ الصغار الذي كانت سلطته اضعف من ذلك كثيراً (Land ٣ : ٢٥٧ ، ١٠)

٤٦) وهي على وجه التقريب بلاد حوران والبلقاء

٤٧) هي المقاطعة التي تقع فيها دمشق وحمص وتدمر وبعلبك وغيرها

والذي يرجع تاريخه الى سنة ٥٦٨ م . راجع Waddington رقم ٢٤٦٤ (القسم العربي اوفى قليلًا من اليوناني: مجلة الجمعية الالمانية الشرقية (٣٨ : ٥٣٠). ثم لا شك في ان الاسمين الواردين في هذا النقش هما من اسماء سلالة كندة لانهما كانا شائعين فيها . وفي ذلك دليلٌ على ان بعض الاسر القديمة بقيت محافظةً على سلطتها في سوريا حتى الى ما بعد ظهور بني جفنة وتغلبهم على من سبقهم فيها . وليس في هذا ما يدعو الى العجب ، لانه يتفق مع ما نعلمه عن سياسة قياصرة الروم في الشرق من انهم كانوا لا يثقون كل الثقة بعمالهم الكبار(٤٨) . غير انه من الصعب الآن ان نبيّن علاقة كبار العمال بصغارهم او ان نعرف بالضبط ما كان لاولئك من السلطة على هؤلاء . لانّ هذه العلاقات لم تكن محدّدة بقوانين معلومة وانما كانت تتوقف على الظروف والاحوال الخاصة . فاذا قرأنا مثلًا ما رواه صاحب سيرة القديس Euthymius عن الحرب التي شبّت في اواسط القرن السادس بين عاملين من عمّال الروم في سوريا ، وهما الحارث والاسود ، وما جرّت من الخراب والضرر على البلاد (Cotelerius ٢ : ٣٢٣) اتضح لنا ان هذه العلاقات بين العمّال لم تكن دائمًا سلمية . اما الحارث المذكور هنا فهوالحارث بن جبلة الغساني ويظهر انه انتصر علىالاسود المذكور(٤٩) الذي لا نعلم عنه شيئًا غير هذا . وكان البزنطيون يهتمون بمثل هذه المنازعات خصوصًا عندما كانت تتعدّى حدود الصحراء وتنتقل الى البلدان الآهلة بالزرّاع .

يحدّثنا المؤرخان پروكوپيوس(١ : ١٨)وملالا(٢ : ١٩٩ وما يليه ؛ قابلهبLand ٣ : ٢٥٨) ان الحارث بن جبلة اشترك في المعركة التي وقعت ليلة الفصح في ١٩ نيسان سنة ٥٣١ بين الفرس وبين الروم تحت قيادة بليزاريوس وانتهت بانحدار

---

٤٨) مثال ذلك قيس الكندي (حوالى سنة ٥٣٠ : لعله المذكور في البيت الخمسين من معلقة الحارث) الذي كان عاملًا على فلسطين (الثالثة) راجع Nonnosus في Photius رقم٣. وكذلك ابو كرب الامير على واحة التمر في شبه جزيرة سينا . (پروكوپيوس .Pers ١ : ١٩). ولعل الامير الصغير يوحنا بن رؤبة صاحب ايلة الذي عقد صلحًا مع النبي محمد (ابن هشام ٢٠٢ ، البلاذري ٥٩) هو من سلالة هذا الاخير

٤٩) ورد اسم الاسود بين امراء كندة ايضًا (Wüstenfeld ٤ : ٢٥) ، وقد كان هذا الاسم ، على كل حال ، من الاسماء الشائعة جدًا

جيش الروم . وقد ذكر ملَالا (٢ : ٢٠٢) ان الفرس اسروا قائدًا (Dux)[٥٠] اسمه عمرو (Ἄμβρος) ، الَّا انه لا يمكننا ان نعيّن هـذا القائد بالضبط لاسيما وان عمرًا هو اكثر الاسماء العربية القديمة شيوعاً .

في اواخر العقد الثالث من القرن المذكور قامت بين الحارث وبين المنـذر امير الحيرة حرب على الارض المعروفة بـ Strata . ويحدّد پروكوپيوس هـذه الارض بقوله انها البادية الواقعة جنوبي تدمر (Pers ٢ : ١) ، ولكنها بالاحرى تلك الاراضي الممتدة على جانبي الطريق الحربية من دمشق الى ما بعد تدمر حتى مدينة سرجيوس (Sergiopolis او Circesium) . فقد ادّعى امير الحيرة ان القبائل العربية النازلة في تلك الاراضي خاضعة لسلطته وهي تدفع له الجزية فنازعه الامير الغساني هذه السلطة فنشب القتال بينهما . وكانت هـذه الحرب من الاسباب التي عادت فاجّجت نار المنازعـات بين الـدولتين بعد ان كادت تنطفئ ، وقد ورد ذكرها من هذا القبيل في الاخبار الفـارسية (انظر ترجمتي الطبري ص ٢٣٨—٣٩)

وفي سنة ٥٤١ حارب الحارث في العراق بجانب الروم تحت قيادة بليزاريوس المذكور آنفاً (پروكوپيوس ٢ : ١٦ ، ١٨) ، وعبر نهر دجلـة على رأس جيشه ثم عاد فارتد الى مركزه السابق عن طريق اخرى غير الطريق التي اتبعهـا معظم الجيش ولم يحصل في حملته هذه على نتائج تُذكر . فكان تصرفه هـذا مدعاة الى الشبهة والى شك بعض الروم في اخلاصه للقيصر (پروكوپيوس ١٩ و Hist. arcana ٢) . ولعلّ اصحاب السياسة في القسطنطينية كانوا يبالغون في مقـدرة العرب على الحروب المنظمـة في حين ان هؤلاء لم يكونوا يحسنون الَّا النهب ومطاردة العدو ولو انهم يفاخرون بغير هذا[٥١] .

لم يمضِ على هذه الغزوة زمن قصير (حوالي سنة ٥٤٤) حتى عاد الاميران العربيان الى القتال . ووقع في هذه الحرب احد ابناء الحارث في يدي المنذر — الذي كان لا يزال على دينه الوثني — فقـدّمه ذبيحة لـلإلاهة افروديت اي « العُزّى » (پروكوپيوس ٢ : ٢٨) . وقد استمر القتـال بين الاميرين العربيين

---

٥٠) Δοὺξ لم تستعمل هنا كلقب محدود وانما تعني بصورة عامة « الرئيس » او « القائد »

٥١) راجع ملّالا ٢ : ٢٠٢

حتى في زمن الهدنة بين الروم والفرس (التي بدأت سنة ٥٤٦ ، پروكوپيوس Goth. ٤ : ١١) الى ان أحرز الحارث بن جبلة انتصارًا حاسماً في شهر حزيران سنة ٥٥٤ في معركة وقعت بينهما بالقرب من قِنّسرين (Chalcis) . ومع ان الحارث خسر في هذه المعركة احد ابنائه ، فقد قُتل من الجانب الآخر المنذر ملك الحيرة نفسه (راجع Land ١ : ١٣ وابن العبري ٨٥ الذي استقى اخباره بطريقة غير مباشرة عن يوحنا الافسي) . وقد حدثت هذه المعركة على الارجح بالقرب من « الحِيار » لأنَّ هناك روايةً عربيــة تعيّن موقع المعركة التي قُتل فيها المنذر في هذا المكان نفسه الذي يقع ، على وجه التقريب ، في منطقة قنّسرين[٥٢] . وعلى كل حال ، فليس ما يخوّلنا ان نفرق بين هذا المكان المدعو بـ « الحيار » وبين « ذات الحيار » التي يذكرهــا ابن الاثير ١ : ٣٩٨ . وهذه المعركة هي ولاشك تلك التي يسمّيها الحارث بن حلّزة في معلقته الشهيرة « يوم الحيارين » (البيت ٨٢) . وذكر بعضهم (ابن الاثير في الموضع المذكور اعلاه) انه قُتل للحارث ابنان في هــذه المعركة . وهــذا خطأ ناتج عن ان الروايات العربية لا تميّز بين هــذه المعركة وبين معركة او معركتين أخريين بين اللخميين والغساسنة انهزم فيها ايضاً اللخميون. ثم هي لا تتفق تماماً حتى في تعيين الحارث الذي انتصر في هذه المعركة او المنذر الذي قُتل فيها[٥٣] . على اننا نستطيع ان نجزم - وذلك استنادًا على ما ورد في ابن الاثير (١ : ٤٠٤) الذي عُرف بالتحري في نقل الاخبار والذي هو نفسه نبّه الى الخلط بين هذه المعــارك في روايات العرب ـــ في ان المنذر الذي قُتل فى تلك الموقعة هو المنذر بن ماء السماء كما

---

٥٢) تقع « الحِيــار » في بادية (مقاطعة) قنّسرين (ياقوت ٢ : ٣٧٣) . وقــد جاء في اليعقوبي (٢ : ٥٤١ ، ٤) : « الحِيار وبلاد قنّسرين المجاورة » . وورد ذكر هذا المكان ايضاً بطريقة اوضح في المتنبي (٥٦٩ من طبعة Dieterici) . راجع البكري ٤١١ ومعه ياقوت ١ : ٥٢٧ (مادة « البديّة ») . والارجح ان هــذا المكان يقع على مسافة غير بعيدة في الشمال او الشمال الشرقي من حماة

٥٣) راجع مثلًا ابا عبيدة في العقد الفريد (القاهرة) ٣ : ١١٥ والبكري ٦٤ حيث جاء ان المقتول هو المنذر بن المنذر ، اي احد ابناء المنذر الشهير الذي كان يدعى باسمه . وهذا ما اورده ايضاً بعض الرواة والمؤرخين الاخرين . وزعم ابن قتيبة ٢١٤ ان لبيدًا الشاعر حضر مقتل المنذر في صباه ، ومعنى ذلك ان عمر لبيد حين جاء الى النبي كان حوالى ٩٠ سنة وانه عاش ما يربو على المئة !

ذكر ايضاً پروكوپيوس وغيره من المؤرخين وعليه بات من المقرر ان هـذه المعركـة هي غير معركة « عين أباغ » التي وقعت قرب الحيرة[٥٤] . وبالعكس نرّجح انها نفس المعركة الشهيرة المعروفة بـ« يوم حليمة » (راجع مثلًا ابن الاثير ١ : ٤٠٠ وما يليه) وكذلك نرّجح ايضاً ان «حليمة» هو اسم مكان[٥٥] لا اسم امرأة كما يفسّره عادةً كتبة العرب . ثم ان النابغة يذكر « يوم حليمة » بين الايام التي كان يفاخر بها الغساسنة السابقون مما يدعم استنتاجنا انه ويومَ الحيار موقعة واحدة اذ انه يكون قد مرَّ على هذه الموقعة نحو خمسين سنة في حين لم يمرّ على الانتصار التالي الكبير الذي حازه احد امراء بني جفنـة اكثر من خمسٍ وعشرين سنة . اما ما يرويه كتبة العرب من التفاصيل عن هذه المعارك فهو جميل جدًّا وله ميزته الخاصة ولكنه ليس من التاريخ في شيء .

يذكر الحارث بن حلّزة (المعلقة البيت ٦١) [٥٦] حينما يعدّد امام الملك عمرو الحيري (٥٥٤ — حوالي ٥٦٨) ، ابن المنذر ووريثه ، مفاخر قبيلته يشكُر (احد بطون بكر بن وائل) انهم انتقموا المنذر القتيل بدم « رب غسّان » . فـان صحَّ هذا القول وجب تأويله بأنَّ هذه القبيلة قتلت احد انسباء الامير الغساني الاقربين او رجلًا من آل جفنة او شخصاً آخر من كبار بني غسّان .

سافر الحارث الى القسطنطينية فبلغها في تشرين الثاني من سنة ٥٦٣ وكان الغرض من سفرته مفاوضة حكومة القيصر في من يخلفه من اولاده في عمالته على سوريا وما يجب اتخاذه من التدابير لمقاومة عمرو ملـك الحيرة (ثيوفانس

---

٥٤) وقـد نقل بعضهم (البكري ٦٤) موقع عين أُباغ الى سوريا وما ذلك الا لانهم وهموا ان هذه المعركة وقعت فيه . اما ان هذا الموضع ليس بعيدًا عن الحيرة فيتضح لنا من ياقوت ١ : ٧٤ والبكري ٤٦ : ٣ وابن الاثيـر ١ : ٢٤٥ و ١ : ٣٧١ (قابل ابن الاثير بياقوت ١ : ٥٥٢ ، ١٤) . واني لم انتبه لذلك قبـلًا حين ظننت ان موقعه الحيار هي نفس عين أُباغ (راجع ترجمتي للطبري ١٧٠)

٥٥) البكري ٢٨٣ (في اسفل الصفحة) وياقوت ٢ : ٣٢٥ ، ١٢ . وكذلك فان في اسم « مرج حليمة » و « وادي حليمة » (ابن الاثير ١ : ٤٠٠ وما يليه) ما يؤيد هذا الرأي

٥٦) الاغاني ٩ : ١٨ ، ١٦ . لا يمكن ان يكون البيت الذي يتلو هذا في موضعه الحالي في الاصل لانه يذكر حادثةً وقعت قبـل هذا الوقت بمدة طويلة . ومما يؤسَف له جـدًا ان المفسّرين القدماء لم يكونوا يعرفون شيئًا ثابتًا عن جملة حوادث تاريخية ذُكرت في هـذه القصيدة كما يُستدل من الاغاني نفسه

٣٧١) . وقد كان لما شاهده الحارث في العاصمة من مظاهر الترف وسعة العيش وقع عظيم في نفسه ، وكذلك فانه احدث هو بدوره تأثيرًا قويًا على سكان العاصمة وبالاخص على يوستينوس ابن اخي القيصر الذي كان لا يزال حينذاك وليًا للعهد ثم اصبح بعد وفاة عمّه خليفتــه على العرش . فلما اصيب يوستينوس بالخرف ، غبَّ تسنمه العرش ببضع سنين ، كان اهل البلاط يخيفونه بالحــارث العربي كلما بدا منه عصيان او عربدة وينتهرونه بقولهم : « تعقل ! والا دعونا اليك الحارث بن جبلة . » فيكفّ ويهدأ . (يوحنا الافسي ٣ : ٢) .

يظهر ان الحارث لم يكن محبوبًا في بلاط الروم لا من القيصر يوستينوس ولا من سلفه خصوصًا لانه كان من اكبر انصار البدعة المعروفة ببدعة اصحاب الطبيعة الواحدة (Monophysites) فكان لا يدخر وسعًا في الــدفاع عنهم وتحريرهم من الاضطهاد كما فعلت من قبله الامبراطورة البــارّة ثيودورة . على انه ليس ثمة من اساس تاريخي للعلاقة الاولى بين الحارث وبين يعقوب البرادعي مؤسس الكنيسة السورية القائلة بالطبيعة الواحدة (الكنيسة اليعقوبية) . وقــد ذكر بعض المؤرخين هذه العلاقة مصبوغةً بمسحةٍ من الاعجاز (Land ٢ : ٣٦١–٦٢) راجع Kleyn : Jacobus Baradaeus (ليدن ١٨٨٢) ص ٤١–٤٢ . ولكن الحارث تمكن سنة ٥٤٢–٤٣ من تحقيق مطلبه لــدى الامبراطورة ثيودورة بتعيين يعقوب المذكور ورفيقه ثيودوروس اساقفة في المقاطعات السورية العربية فتوطدت بذلك دعائم الكنيسة القائلة بالطبيعة الواحدة بعد ان كانت مهــدّدة بالخطر (Land ٢ : ٢٥٤ و Kleyn في الموضع المذكور اعلاه ٤٧–٤٨)[٥٧] . وبوسعنا ان نعلم كيف ان الحارث كان يعمل لمصلحة ابناء طائفته من مراجعــة كلام يوحنــا الافسي ومن مجموعة الوثائق المــذكورة سابقًا (ص ١٢) التي بحث فيها مطوّلًا الكاتب Kleyn . الا انه يظهر من اقوال يوحنــا الافسي ان الحارث كان في الوقت نفسه يسعى جهده — ولكن بدون جــدوى — للقضاء على المنازعات العقائدية والشخصية المستمرة بين كهنة الكنيسة القائلة بالطبيعة

---

٥٧) يؤخذ من اخبار « حياة القديسين الشرقيين » (Vita) التي وضعها اصلًا يوحنــا الافسي ثم اخذها احد الكتبة المتأخرين وتوسّع فيها ان الحارث استحصل لها على هــذه الرتبة بنفسه يوم كان في العاصمة (Land ٢ : ٣٦٨–٦٩) . الا ان هذا الخبر بعيد عن الصحة

الواحدة وخصومهم التي لم يكن يستفيد منها الّا هؤلاء الخصوم . وطبيعي ان لا يدرك الحارث الشيء الكثير من حقيقة المسائل التي كانت تدور عليها تلك المنازعات بين كنيسته وكنيسة الدولة او بين سائر الاحزاب التي كانت تنقسم اليها كنيسة اليعاقبة نفسها ، وانما كان مدفوعاً بالعامل السياسي لمعاضدة المذهب الذي كانت تتبعه اكثرية الشعب في امارته ولنشر لواء الهدوء والسلام بين اتباع هذا المذهب[٥٨] .

لقد احتلَّ الحارث بن جبلة في مخيّلة العرب مركزًا سامياً ، ودعوه ايضاً الحارث بن ابي شمر مما يدل على ان اباه كان يكنى بابي شمر . اما ان الحارث ابن ابي شمر هو نفسه الحارث بن جبلة الذي نتكلم عنه فظاهر مما يأتي : يخاطِب الشاعر عمرو بن كلثوم الاميرَ الذي حارب قبيلته تغلب وارتد عنها خاسرًا والذي تعدّه الروايات العربية بحق احد امراء آل جفنة بـ « يا ابن ابي شمر » (ابن الاثير ١ : ٣٩٨) . ولمَّا كان عمرو بن كلثوم هذا قد قتل ، في زمن وفاة الحارث تقريباً ، عمرًا ملك الحيرة وعدوّ الغساسنة[٥٩] فانه يصعب علينا ان نفترض انه حارب الغساسنة فيما بعد في جانب ملك الحيرة وتغنى بذلك . اذن فالحارث بن ابي شمر الذي يخاطبه في قصيدته هو الحارث بن جبلة نفسه . وكذلك فقد ذُكر الحارث بن ابي شمر ايضاً بانه هو الذي تغلّب على المنذر ملك الحيرة (ابن قتيبة ٣١٤ ، الحماسة ٤٠٢) وغيرهم . أضف الى هذا كله ان تلك القصة التي لا يمكننا ان نثق بصحتها والتي تدور حول الخلاف بين الحارث بن ابي شمر وصموئيل (السموأل) بن عادياء احد اشراف تيماء بسبب دروع امرئ القيس او التي يُستدل منها على الاول انه كان معاصرًا له (الاغاني ١٩ : ٩٩) تنطبق — اذا صحت — على الحارث بن جبلة لان الحادثة التي ترويها وقعت حوالي سنة ٥٥٠ . هذا ، ولما كان الحارث بن جبلة اشهر امراء بني جفنة فقد اصبح من السهل ان ندرك لماذا كان كتبة العرب القدماء يطلقون

---

٥٨) لم يكن في الحقيقة من حظ السوريين (والاقباط) ان اضطهاد اتباع مذهب الطبيعة الواحدة وقف عند هذا الحد لانهم بذلك ابتعدوا ، على مر الايام ، عن مجرى الحياة الاوروبية

٥٩) راجع ترجمتي للطبري ص ١٧٢

على كل امير غسأني ، حقيقي او موهوم ، لا يعرفون اسمه اسم الحارث بن [ابي] شمر دون ان يراعوا في ذلك الترتيب التاريخي مطلقاً . فمن ذلك انهم تارة ينسبون الى الحارث المذكور قتل حُجر آكل المرار الكندي جدّ الشاعر امرئ القيس (الاغاني ٨ : ٢٥) فيُرجعونه بذلك الى حوالي سنة ٤٥٠ م [٦٠] ، وطوراً يعدونه معاصراً للسنين الاخيرة من حياة النبي . فهناك رواية في ابن هشام ٩٧١ تزعم ان الحارث المذكور هو الامير الغساني الذي بعث اليه النبي محمد برسالته سنة ٦٢٨ ، الا ان ابن هشام نفسه تنبّه لهذا الخطأ فرجّح انَّ هذا الامير الغساني هو جبلة بن الايهم لا الحارث بن جبلة . ولكنه عاد فذكره في السنة التالية مع النعمان ملك الحيرة الذي كان قد توفي ، كما هو معروف ، قبل ذلك بزمن طويل (ابن هشام ٧٧ = الواقدي طبعة Wellhausen ٣٧٧ = ابن دريد ٢٦٧ الخ) . وها الواقدي (ص ٤١٣من طبعة Wellhausen) يروي ان الحارث المذكور (او جبلة بن الايهم ، كما صحّح فيما بعد) كان لا يزال حاكماً سنة ٦٣٠م. [٦١] ثم هوذا البلاذري — وهو من اهل النقد المحترسين في نقل الاخبار — يضع الحارث بن ابي شمر رأساً قبل جبلة بن الايهم آخر امراء غسان (ص ١٣٦) . واغرب من ذلك ان النسّابة ابن الكلبي الذي يعتمد كثيراً على الاحاديث النبوية اضاف الى شجرة انساب الغساسنة ، التي تنتهي عند اولاد الحارث ، حارثين آخرين: الحارث بن جبلة والحارث بن ابي شمر ، فيصبح هذان الاميران بذلك حفيدي نفسهما وتمتد حياتهما الى زمن النبي ! وذكر ابن الاثير (٢ : ٢١٨ ، ٣ = ياقوت ٣ : ٩١٣ ، ٨ و ٤ : ٦٥٣ ، ١٨) الحارث بن ابي شمر كاحد امراء الغساسنة ولم يزد على ذلك في تعيين شخصيته .

ليس من المرجح ان يكون الحارث بن جبلة هو نفس الحارث المعروف

---

٦٠) نجد مثالاً من هذا الخلط في التأريخ في كتاب الاغاني ٩ : ١٦٧ حيث نقرأ ان الحارث بن ابي شمر تزوج اخت امرأة آكل المرار الكندي . وجاء ايضاً في ابن الاثير ١ : ٤٠١ ان الحارث بن ابي شمر جبلة ، حفيد الاعرج ! (راجع ما يلي) خطب ابنة المنذر بن المنذر اللخمي بالرغم عن ان هذا الاخير لم يتبوأ عرش الملك (في النصف الثاني من العقد السابع) الا بعد وفاة الحارث (٥٦٩) . ومثل هذا الخلط في التاريخ عندهم كثير

٦١) في الرواية نفسها في ابن هشام ٩١١ والبخاري ٣ : ١٨٠ (طبعة Krehl) ورد فقط « ملك غسان » دون ذكر الاسم

بـ « ابن مارية » [٦٢]. كما زعم ابن قتيبة ٣١٤ وحمزة ١١٧ وابن دريد ٢٥٩ : ٩ [٦٣].

وقد أُخذت هذه الكنية عن بيتٍ لحسان بن ثابت :

اولادُ جفنـةَ حولَ قبرِ ابيهم قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المُفضلِ

(ديوان ص ٧٠ : ١٤ ووردت هذه الكنية ايضاً مراراً في مواضع اخرى). فمن الطبيعي ان يعتبر الكتبة المتأخرون ان المعنيّ في هذا البيت هو اشهر آل جفنة ولكن كل الظواهر تدل على انـه امير غساني توفي في زمن الشاعر اي حوالي العقد الثاني من القرن السابع. ومن المؤرخين من يطلق هذه الكنية على امير آخر من آل جفنة (اليعقوبي ١ : ٢٣٦ والمسعودي ٣ : ٢١٧ وقابلهما بالاغاني ٩ : ١٦٧). وهذا كله من باب الحدس. [٦٤] ومثله في الابهـام عبارة الطبري « الحارث بن مارية الغساني » (١ : ٨٥١ ، ١٧)

توفي الحارث بن جبلة سنة ٥٦٩ او في اوائل سنة ٥٧٠ ، فيكون قـد حكم كعامل اكبر مدة اربعين سنة على اقل تقدير. وقـد ذُكر اسمه في الوثائق الكنائسية لسنتي ٥٦٨ و٥٦٩ (راجع مطولاً في كتاب Kleyn) ، حتى ربيع سنة ٥٧٠ حين بُدئ بذكر ابنه المنذر.

لم يكد المنذر (Alamundaros) بن الحارث يستلم زمـام الحكم حتى هبَّ لمحاربة عرب الحيرة عمَّال الفرس ، الذين كانوا قد اغاروا بعد وفاة ابيـه

---

٦٢) اما ان معنى هذه الكلمة هو « السيدة » وليس له علاقة باسم مارية فقد بيّنته في كتابي « صرف ونحو اللغة المندائية » ص ١١٢

٦٣) حيث ورد « جبلة بن الحارث » بدلًا من « الحارث بن جبلة ». راجع ص ١٠

٦٤) وكانت تدعى ماريةَ ايضاً امرأة المنذر الحيري وام الاسود (ترجمة الطبري ٥١٢). وقد مدح الحارث بن حلزة اميراً آخر يدعى ابن مارية. راجع المفضليات رقم ٢٦ والاغاني ٩ : ١٧٨ . (ان كان البيتان للشاعر نفسه فالممدوح فيهما لا شك واحد ، غير ان الممدوح في شعر المفضليات يصح ان يكون من اللخميين او من الغساسنة). وورد اسم مارية ايضاً مراراً في مواضع أخرى . اما مارية « ذات القرطين » الخرافية (Freytag, Prov. ١ : ٤٢٣ وفي غير هـذا الموضع ايضاً) فقد زعم العرب انها هي نفس أُم الامير الغساني. وهذا زعم اقل ما يقال فيه انه واهٍ. ومن الغريب أن Caussin de Perceval يرجّح أنَّ Μαυία التي ذكرها سوزومن ٦ : ٣٨ هي نفس مارية أُم الامير الجفني ويعزو الاختلاف بين الاسمين الى خطأ احد النسّاخ القدماء : «quelque ancienne erreur de copiste» (٢ : ٢٢٠ - ٢١). على ان وزن « ماويّة » الشعري يختلف عن وزن « مارية »

المرهوب على سوريا ، فقاتلهم وانتصر على ملكهم الجديد قابوس في يوم الصعود (٢٠ ايار) سنة ٥٧٠ (Land ١ : ١٣) . وثم انتصر عليهم ايضاً في موقعة اخرى كما ذكر يوحنا الافسسي (٦ : ٣ حيث تجد التفاصيل الوافية) . اما المعركة الاولى فهي على الارجح المعركة المعروفة بـ « عين أباغ » التي اكثر الشعراء العرب من ذكرها والتغني بها ، ذلك لانها وقعت في نقطة بعيدة شرقي سوريا ولان الامير الغساني المنتصر وصل الى مكان يبعد ثلاث مراحل فقط عن الحيرة عاصمة اللخميين : وهذا ما ينطبق تماماً على موقع « عين اباغ » (راجع اعلاه ص ٢٠ حاشية ١) . وذكروا ايضاً ان المنذر أغار — حتى في زمن حياة ابيه — على عرب الحيرة وأبلى في غزوته بلاء حسناً (مناندر الحامي : الفصل ١٧ في النهاية) .

ومما نعرفه عن هذا العامل انه عُقد في اوائل حكمه وتحت رعايته الخاصة مجمع كنائسي[٦٥] نظر في بدعة المعتقدين بثلاثة آلهة — Tritheism — وحكم عليهم بالهرطقة . وقد بحث هذا المجمع في حوادث جرت في سنتي ٥٦٨ و٥٦٩ وكان ممن امضى قراراته « كاهن البطريق المنذر الامجد (ἐνδοξότατος) ومحب المسيح » وهو ، على ما يظهر ، الكاهن الرسمي في بلاط العامل الغساني المنذر .

لم يكن القيصر يوستينوس (وذلك قبل ٧ كانون الاول سنة ٥٧٤ حين اشترك طيباريوس في الوصاية) راضياً عن الامير العربي ولم يكتفِ بأن رفض ان يمدّه بالمال الذي كان طلبه منه ليتم ما شرع به من الاعمال بل اوعز الى البطريق مرقيانوس ان يحتال عليه ويقتله ان امكن (يوحنا الافسسي ٦ : ٣—٤) . ولكن المنذر احسَّ بهذه المؤامرة[٦٦] فشقَّ عصا الطاعة على دولة الروم وبقي ثائراً عليها مدة ثلاث سنوات . فانتهز عرب الحيرة هذه الفرصة واغاروا على سوريا وعاثوا فيها ما شاؤوا . فوجد الروم انفسهم مضطرين لاسترضاء الامير

---

٦٥) يهمنا هذا المجمع خصوصاً لكثرة اسماء الاماكن التي وردت في الامضاءات . راجع نص هذه الامضاءات في قائمة Wright السريانية (٧٠٩ وما يليه) ومقالتي في مجلة الجمعية الالمانية الشرقية ٢٩ : ٤١٩

٦٦) اعتمدنا في رواية هذه الحادثة على يوحنا الافسسي وحده مع ما عُرِف عنه من شدَّة تعلّقه ببني جفنة ، حُماةِ مذهبه . الا انه يظهر ان سلوك البلاط الملوكي كان في الحقيقة رديئاً بقدر ما هو بعيد عن الصواب

الجفني مهما كلّفهم الامر . وبعد مفاوضات جمة ذهبت في بادئ الامر ادراج الرياح تمّ الاتفاق بين الفريقين فاجتمع المنذر بالبطريق يوستينيانوس المبعوث من القسطنطينية — وذلك في الرصافة عند قبر القديس سرجيوس الذي كان يجلّه جميع سكان سوريا حيث كان المنذر يحسب نفسه في مأمن من غدر البزنطيين — وعُقد الصلح بينهما. وكان ذلك في زمن حياة القيصر يوستينوس الذي توفي في ٦ تشرين الاول سنة ٥٧٨ (راجع يوحنا الافسسي ٦ : ٤ ص ٣٥١) . ويظهر من الكتابة المذكورة سابقاً (Waddington رقم ٢١١٠) ان الصلح عُقد في صيف سنة ٥٧٨ . ومع ان هذا النقش اكتُشف في موضع بعيد جدًا (في مكان يقال له « حياة » يقع شرقي اللجاه وشمالي جبال حوران على مسافة عشرة اميال تقريباً بين الجنوب والجنوب الشرقي من دمشق) فان الامير الغساني ما كان ليدعى بجميع القابه الرسمية حتى في ذلك المكان النائي لو لم يكن قد سلّم نفسه للسلطة الرومانية واستعاد مركزه السابق لديها.

في ٨ شباط من سنة ٥٨٠ وصل المنذر مع ابنين له الى القسطنطينية فاستُقبل فيها بكل احترام وتبجيل ، وانعم عليه القيصر طيباريوس بـ«التاج» مع ان الروم لم يكونوا ينعمون قبلًا على عمّالهم من العرب الا بـ« الاكليل » (يوحنا الافسسي ٤ : ٣٩ ، ٤٢)[٦٧] . وقد بلغ خبر هذه الحادثة حتى اسبانية (Iberien) فذكره القس يوحنا البِكلَري (Biclar) ووصف كيف ان القيصر طيباريوس رحب بـ«المنذر ملك الشرقيين » (Aramundarus Saracenorum rex) ولكنه اخطأ في تاريخ السنة التي جرت فيها هذه الحادثة[٦٨] .

---

٦٧) كتب لي Rud. Schoell ان «التاج» هو المقصود : διάδημα ، اما الاكليل فهو στέφανος ἀπὸ χρυσοῦ او corona aurora واورد امثلة مختلفة على انعام القياصرة بالتاج او بالاكليل الذهبي ولكنها كلها ترجع الى الازمنة السابقة

٦٨) هو يؤرخ سفرة المنذر في السنة التاسعة من ملك يوستينوس (تشرين الثاني ٥٧٣ — ٥٧٤) حالة كون طيباريوس ، الذي يدعوه قيصرًا ، لم يصبح قيصرًا وشريكًا في الوصاية الا في ٧ كانون الاول سنة ٥٧٤ . وقد كتب لي الاستاذ Gutschmid انه لا يصح ان نعتمد على يوحنا البكلَري في تحديد سني القياصرة ، فلو جرّبنا مثلا ان نستخلص تاريخ هذه الحادثة من مقابلتها بتاريخ حكم مَلِك القوطيين الغربيين عند المؤرخ المذكور لاستنتجنا انها وقعت سنة ٥٧٥ م . ولذا فـ Gutschmid يميل الى الظن ان الامير العربي قام برحلة ثانية الى العاصمة البزنطية . الا ان يوحنا الافسسي ما كان ليسكت عن السفرة الاولى لو انها حصلت حقًا

انتهز المنذر فرصة وجوده في عاصمة الروم فسعى لنيل العفو عن اصحاب مذهبه وعمل على توطيد السلام بينهم . وقد عقد لهذه الغاية مجمعاً خاصاً في ٢ آذار سنة ٥٨٠ (يوحنا الافسسي ٤ : ٤٠) وبذل كل ما كان له من نفوذ وسلطة في معاضدة اتباع مذهب الطبيعة الواحدة والدفاع عنهم كما كان فعل قبله ابوه الحارث (يوحنا الافسسي: في عدة مواضع من تاريخه)[٦٩] .

نرجح ان المنذر هذا هو نفس الملك ابي كرب الذي ورد اسمه على هامش نص سرياني مصحوباً بالادعية السماوية (مجموعة Wright ٤٦٨) وقد كُتب ذلك في نقش حجري وُجد في احدى نواحي تدمر[٧٠] وجاءت فيه ايضاً هذه العبارة:

لاسيما اذا كانت قد احدثت كما يزعمون تأثيراً كبيراً بلغ صداه الغرب الاقصى. أضف الى ذلك انه يصعب ان نؤرخ سفرة المنذر الى القسطنطينية في سنة ٥٧٥ اي قبل زمن المؤامرة على حياته وقبل ثورته التي دامت ثلاث سنوات ولم تنتهِ الا في سنة ٥٧٨. اما عبارة ابن العبري ٩٢ التي قد يظن القارئ انما تشير الى سفرة حدثت حالاً بعد اشتراك طيباريوس بالوصاية فالمراد منها السفرة المعلومة التي قام بها الامير العربي بعد ان تبوأ هذا القيصر كرسي الملك حقيقةً (في ٦ تشرين اول سنة ٥٧٨) باكثر من سنة. وهذا واضح تماماً من عبارة ميخائيل السرياني التي يختصرها هنا ابن العبري (راجع ترجمة النص الارمني لِ Dulaurier : في المجلة الاسيوية ١٨٤٨ : ٢ ، ٢٩٨ و Langlois ٢١١). ويظهر من المعارضة ان ميخائيل السرياني استند على يوحنا الافسسي ولم يزد عليه الا بعض آراء وملاحظات خاصة. — والارجح ان الراهب البِكلَري خلط هنا بين اعلان طيباريوس شريكاً في الوصاية وبين تبوءه عرش الملك فعلاً فوضع تاريخ زيارة الامير العربي حالاً بعد الحادثة الاولى بدلاً من الثانية

٦٩) يؤخذ من عبارة يوحنا الافسسي ٤ : ٢١ ، ٣٦ (التي يستند عليها ابن العبري ٩٣) ان القبائل العربية في سوريا كانت متعصبة لمذهب الطبيعة الواحدة. ولكننا لا نعلّق على هذه العبارة اهمية كبيرة ، حيث وان يكن غير مستبعد ان ينظر افراد هذه القبائل الى بعض اشخاص صُبغوا بمسحة القداسة — كيعقوب البرادعي — بشيء من الاجلال والتقديس او ان يعظموا الايقونات وبقايا القديسين فان ذلك لم يكن ليحول دون دخول اكثرهم في الاسلام بعد خمسين او ستين سنة دون تردد او مقاومة تذكر

٧٠) على انه ليس للحاشيتين الاخريين ٤٦٨ ب علاقة بالمكان نفسه. ونستدل من تصحيح Wright (ص XXXV) ان جزءاً منها ممحو تصعب قراءته. وقد اخبرني الدكتور Gottheil الذي درس هذا الموضع من المخطوطة درساً وافياً أن اسم المكان الممحو من الحاشية الاولى يجب ان يقرأ ، كما كنت قد ظننت سابقاً ، ܢܒܟܐ لا ܢܟܝܐ ، وكذلك في الثانية ايضاً. وهذا هو المكان المعروف عند العرب بـ« النبك » والواقع على الطريق الشمالي بين دمشق وتدمر. ويجب ان يكون تابعاً كنائسياً لاسقفية دمشق الا انه مذكور هنا بجانب اسقفية تدمر

« في ايام الاسقفين المحترمين القديسين يعقوب وثيودوروس » . ومع ان هذين الاسمين شائعان كثيرًا فان الشخصين اللذين تسميا بهما واللذين عاشا في القرن السادس — اذ ان الدلائل الپاليوغرافية تُرجع النقش الى ذاك القرن — ليسا سوى يعقوب البرادعي وثيودوروس المذكورين سابقاً (انظر اعلاه ص ٢١) وقد ورد اسماهما مقرونين معاً في عدة وثائق اخرى خاصة بطائفة القائلين بالطبيعة الواحدة . وهذه الوثائق وجدت في نواحي تدمر وهي تصورهما دائماً اما محامين عن كنيستهما او في مقدمة رؤسائها الروحيين (مجموعة Wright ٧٠٣ أ رقم ١١ و ٧٠٥ ب رقم ٢٥ و٧٠٦ ب رقم ٣٠ و٣١ و٧٠٨ أ رقم ٣٣ و٧٠٩ رقم ٣٨ و٣٩) . راجع ايضاً Land ٣ : ٣١٤ ، ١١ . هذا ، ولما كان من المعلوم ان يعقوب البرادعي توفي سنة ٥٧٨ نتج عن ذلك ان الملك الذي ورد اسمه في الكتابة المذكورة يجب ان يكون اما الحارث بن جبلة واما ابنه المنذر ، والاخير هو الارجح كما يستفاد من عبارة اخرى وردت في هذه الكتابة وفيها دعاء الى الله تعالى « من اجل سائر اخوته المؤمنين » : ذلك لانه كان للمنذر عدّة اخوة كما ورد في الروايات العربية الراجعة الى ابن الكلبي ومن جاء بعده وكما يؤخذ ايضاً من قول يوحنا الافسسي (٤ : ٣ ، ٤٢ ، ٦٣ و ٦ : ٤) ان اخوته كانوا يشتركون معه في العمل .

اما اذا لم يكن الملك ابو كرب هو المنذر نفسه فلا بُدَّ من ان يكون اباه . ولا يجب ان يضعف استنتاجنا هذا انَّ حمزة يطلق هذه الكنية على ملك آخر متأخر يدعى النعمان ، فليس لهذه الرواية اهمية تاريخية . ومما يدلّ على ان هذه الكنية اقرب في الروايات العربية للحارث وسلالته منها لغيره ان ابن الاثير (١ : ٣٩٩) يدعو بها ابناً آخر للحارث الجفني قُتل في الموقعة الحاسمة بينه وبين المنذر ملك الحيرة .

وجديرٌ بنا ان ننتبه الى ما جاء في تلك الكتابة ايضاً اتماماً للدعاء المذكور : « واهدِ الضالين منهم (من اخوته) الى معرفة الحق (ايها الله تعالى) » مما يُستنتج منه انه كان للمنذر اخوة غير مؤمنين اي انه كان بين اولاد الحارث من لم يكن يتبع مذهب اليعاقبة تاماً . وهذا مما يجب النظر فيه عند البحث في اسباب سقوط هذا الامير .

لما عزم موريقيوس (Mauricius) قومس الشرق (χώρας Ἀνατολῆς) ان يغزو سنة ٥٨٠ [٧١] ، بالاشتراك مع المنذر ، احدى ولايات الفرس وجد الجسر الكبير (على نهر الفرات) مهدوماً فاضطرّ ان يرتدّ خائباً (يوحنا الافسسي ٣ : ٤٠ و ٦ : ١٦ [٧٢] و اواچريوس ٥ : ٢٠ وثيوفيلكت ٣ : ١) . فعزا الروم هـذه الخيبة الى خيانة المنذر وتواطئه مع العدو [٧٣] ، وتنازع موريقيوس والمنذر هذا بشدة ثم شكاه الى القيصر [٧٤] . الا ان المنذر عاد فاغار وحده على اراضي عدوه امير الحيرة واباد عاصمته بالنار ورجع من غزوته بغنائم عظيمة (يوحنا الافسسي ٦ : ١٨) . وقد ذكر هذه الحادثة احد المعاصرين وهو الشاعر الحيري عدي بن زيد [٧٥] وذكرها ايضاً بعض كتبـة العرب ولكن دون ان يعينوا اسم الامير الغساني الذي كانوا يجهلونه على ما يظهر [٧٦] . ويُستنتج من قول عدي بن زيد ان المنذر انما نجح في هـذه الغزوة لانَّ ملك الحيرة [٧٧] كان وقتئـذ غائباً عن

---

٧١) لا شك في ان طريقـة ثيوفيلكت (٣ : ١) في تأريخ هذه الحوادث وسردهـا واضحة لا غبـار عليها ، فيجب اذن ان لا يضلّلنا ترتيب معـاصره يوحنا الافسسي فيحدو بنا الى اختيار تاريخ اقـدم لهذه الحادثة . ولا بأس هنا من الاشارة عرَضًا الى ان ثيوفيلكت مؤرخ اهلٌ بالثقة والاعتبار رغماً عن تقصيره الشائن في الذوق الكتابي

٧٢) ان الخبر المذكور في الكتاب السادس لا يتفق تماماً مع ما جاء في الكتاب الثالث

٧٣) مع اننا هنـا لا نعلق اهمية كبيرة على اقوال يوحنا الافسسي المتعصب لآل جفنة ، فاننا نرجّح ان التهمة بنفسها مستبعدة . اما آمال القائد البزنطي في ان يصيب نجاحاً كبيرًا حيث اخفق من قبله الامبراطور يوليان فقد كانت ضعيفة من اساسها

٧٤) ابن العبري ٩٢ : ٣ (من اسفل) . وهنا يجب ان نقرأ بحسب مخطوطة الفاتيكان ١٦٧ ܥܣܘܡܝܐ كما اخبرني الاستاذ Guidi . وهذا ما كان افترضه سابقاً Rœdiger (خطأً في نسخته من الترجمة اللاتينية التي لا تزال محفوظة في مكتبتنا)

٧٥) الاغاني ٢ : ٢٧ ؛ الطبري ١ : ١٠٢١ قابله بحمزة ١١٨ ؛ ياقوت ٣ : ٦١٢ ؛ البكري ٢٢٣ (وابيات اخرى متفرقة في غـير هذا الموضع) . ولعل هذه الابيات أُنشدت قبل ان يُسجن عدي بزمن طويل

٧٦) لا تعيّن الرواية القديمـة المحفوظة في الاغاني والطبري هذا الامير بغير قولها : « رجل من غسان » . فلا اهميةَ اذن لافتراضات الطبري وحمزة وابن الاثير ١ : ٤٠١ . ولقد اصاب حمزة في اشتقاقه لقب « محرّق » من هذه الحادثة (انظر اعلاه ص ٥)

٧٧) وهو — على ما ذكره العرب — النعمان بن المنذر . وقد استخلص المتأخرون اسمه رأساً من ابيات الشاعر عدي بن يزيد (راجع ترجمتي للطبري ٣١٢ وما يليه) . غير انه ليس من المحقق بعد ما اذا كان هذا الامير حاكماً حينذاك ام لا

عاصمته ؛ غير ان النجاح الذي اصابه الامير العربي في غزوته هذه ، بعد ما لقيته الجنود الرومانية التي كانت بصحبته من الفشل في الغزوة السابقة ، زاد في عداوة الروم له . فاذا اعتبرت هذا كله ثم اضفت اليه تأثير الاختلافات المذهبية بين الطرفين — التي ادّت الى ارتيــاب الروم بالجفنيين عموماً — استطعت ان تدرك اسباب حقد الروم آنئذ على المنذر. نعم ، ان الضرورة كانت ترغم احياناً قياصرة الروم — عند توزيعهم المراتب العالية على رؤساء الشعوب والقبائـل البربرية — ان يغضوا النظر عن انحراف هؤلاء عن الدين الرسمي الذي كان يُطلب التمسك به من رجل مثل Gelimer الاسير (پروكوپيوس: Vand ٢ : ٩ في الآخر). فمن ذلك انهم منحوا ثيودريك لقب « قنصل » و« بطريق » بالرغم عن اتباعــه مذهب آريوس ، وابقوا الحارث بن جبلة في الرتبة «البطريقية» حتى بعد مدافعته جهرًا عن المعتقدين بالطبيعة الواحدة . وكذلك قل ايضاً عن خليفة المنذر الذي عيّنه القيصر بنفسه . ولكن لا شك في ان المتعصبين المـذهب الرسمي كانوا ينظرون الى هذا التساهل شزرًا وانه كانت في القسطنطينية وقتئذ جماعة كبيرة من الروحيين والعلمانيين من اصحاب المراتب العالية وارباب النفوذ في الــدولة الذين كانوا يتوقون الى تجريد الكنائس اليعقوبية من حُماتها حتى ولو كان ذلك مناقضاً للحق والايمان الحقيقي اذ انه لم يكن لهذين اهمية كبيرة عندهم حينذاك خصوصاً في محاربة الهراطقة.

كان من كلّ ذلك ان الاوامر صدرت الى حاكم سوريا الروماني (Magnus) بالقبض على العامل العربي بالرغم عن كون هــذا الحاكم صديق العــامل العربي و«وليّه». وارسل يدعوه الى بلدة في البادية بين تدمر ودمشق تدعى حِوارين — كانت قد ارتفعت حديثاً الى مرتبة المدن[٧٨] — ليحضر حفلة تــدشين احدى الكنائس التي شادها فيها . وكان مدعوًّا لهــذه الحفلة ايضاً بطريرك انطاكية

---

٧٨) يذكر يوحنا الافسسي ان رفع هذه البلدة الى مرتبة المدن حدث لاول مرّة على يد الحاكم ماغنوس . والصحيح انها كانت قد نالت هذه الامتيازات من الامبراطور يوستينيان لانها دعيت في قائمة الاساقفة Εὐάριος [sc. κάστρου] ἤτοι Ἰουστινιανούπολις (Not. episc. طبع Parthey ٩١) . ولكن لعل قراءة الكلمة الاخيرة Ἰουστινούπολις ? اما لفظة ܚܘܪܝܢ : حُوَّارين المقلقلة فقد كان اليونان والرومان يكتبونها بصور مختلفة

نفسه . فلبى الامير العربي السليم النيّة هذه الدعوة وتوجه الى المكان المعيّن ، لكنه ما كاد يبلغه حتى القى الحاكم الروماني القبض عليه وارسله مخفورًا الى العاصمة حيث اقام مع احدى نسائه[٧٩] وابنين وبنت له في حالة الاسر ولكن مع شيء من الحرية .

كان ذلك في ايام القيصر طيباريوس (المتوفى في ١٤ آب سنة ٥٨٢) اي في سنة ٥٨١ او بالاحرى في اوائل سنة ٥٨٢ . فلما توفي طيباريوس وخلفه موريقيوس عدوّ المنذر الالدّ نفاه ورجلًا آخر من كبار الحاشية يدعى سرجيوس الى صقلية (يوحنا الافسسي ص ١٤٧ : الفهرست[٨٠] ؛ اواچريوس ٦ : ٢) .

لقد دام حكم المنذر نحوًا من ثلاث عشرة سنة . فاذا ذكر المؤرخ حمزة اميرًا آخر بهذا الاسم — المنذر بن الحارث — وجعل مدة حكمه ثلاث عشرة سنة ايضاً فالارجح ان روايته هذه والرواية الاولى تستندان على اساس واحد . على ان مدة حكم المنذر الحقيقي في تاريخ حمزة هي ثلاث سنوات فقط .

لم يقتصر امر الروم مع المنذر على نفيه فحسب وانما عمدوا ايضاً الى قطع الاعانة السنوية (annonae) التي كانوا يقدّمونها لاسرته . فكان ذلك داعياً آخر لاثارة الغساسنة فقام ابناء المنذر الاربعة وشقّوا عصا الطاعة على دولة الروم ثم اوغلوا تحت قيادة اخيهم الاكبر — النعمان — في الصحراء واخذوا يشنّون منها الغارات على اراضي الدولة فيسطون على اموالها وينهبونها ويعيثون في داخل البلاد فسادا . اما يوحنا الافسسي فيقول انهم لم يلجأوا الى القتل او الحرق ، لكنه لا يمكننا ان نثق بصحة هذا القول تماماً . ويصرّح هذا المؤرخ ان غنائمهم كانت عظيمة وانهم القوا الرعب في قلوب حامية بصرى — وهي اعظم مركز حربي في تلك البلاد بعد دمشق — واضطروها الى ان تتخلى لهم عن الذخائر

---

٧٩) لقد اورد يوحنا الافسسي عبارة ܡܢ ܐܢܬ̈ܘܗܝ (١٧: ١:٢) بطريقة يمكن للقارئ ان يستنتج منها — لا بل قد يضطر ان يستنتج منها — انه كان للامير المذكور عدة نساء . وكذلك فالعبارة الاخرى : « ولقد كان في وسع عرب الفرس ان يأسروا نسائي واولادي ܒܢܝ̈ ܘܒܢܬ̈ܝ » (١١:٢١٦) قد تكون راجعة اليه . وكما ان النعمان ملك الحيرة تزوّج عدّة نساء حتى بعد تنصرّه ، فليس من المستبعد ان يصح الشيء نفسه على الامير الجفني . ويظهر ان الكنيسة لم تكن تبالي بذلك ما دام هؤلاء الامراء لم يكونوا متزوجين كنائسياً الا بزوج واحدة

٨٠) من المؤسف ان الفصول المتعلقة بهذه الحادثة قد سقطت من المخطوطة .

الحربية[٨١] وغيرها من اموال ابيهم المحفوظة فيها. وقد دامت هذه الحالة على ما هي « مدة طويلة » (يوحنا الافسسي ٣: ٤٢، اواچريوس ٦: ٢).

في نهاية الامر جهّز القيصر طيباريوس حملةً تحت قيادة الحاكم (Magnus) المذكور آنفاً وارسلها ضدّ الثائرين وانفذ معها اخاً آخر للمنذر ليخلفه في وظيفته. والارجح ان هذا الامير هو احد اخوة المنذر الذين وصفهم الكاتب اليعقوبي (اعلاه ص ٢٨) بقوله انهم غير مؤمنين. على انه لم يلبث ان توفي بعد عشرة ايام (يوحنا الافسسي ٣: ٤٣)[٨٢]. اما القائد البزنطي فقد تمكن بمكره ودهائه من القبض على النعمان، اكبر ابناء المنذر، اذ دعاه الى المفاوضة السلمية ثم القى القبض عليه واخذه اسيرًا. ولعل لمذهب النعمان دخلًا في المحنة التي اصابته — كما يؤخذ من عبارة المؤرخ ميخائيل السرياني (راجع Dulaurier ٣٠٠ وLanglois ٢١٣) التي استند فيها على قسمٍ مفقود من تاريخ يوحنا الافسسي[٨٣] والتي اخذها عنه ابن العبري ٩٣. على اننا لا ندري الى اية درجة بالغ المؤرخ ميخائيل السرياني في نقله اخبار يوحنا الافسسي، وليس من الممكن ان نحقق ما اذا كان فعل ذلك عمدًا ام بنيةٍ حسنة.

أُرسل الامير العربي اسيرًا الى العاصمة فلما بلغها امر القيصر بأن يُعامَل معاملة « اسير حرّ » رغماً عن ان جميع كبار الدولة اشاروا بقتله. (يوحنا الافسسي ١٤٧ : الفهرست ٣: ٥٦؛ اواچريوس ٦: ٢)[٨٤]. ويُستدل من عبارة المؤرخ اواچريوس ان وصول النعمان الى العاصمة كان في ايام القيصر موريقيوس، الا ان الفهرست الملحق بتاريخ يوحنا الافسسي (٦: ٤٤، قابله ب ٤١: ص ٣٤٠) يؤرخ ذلك قبل ابتداء الدور (الاندكتيون) الثالث[٨٥] اي بين ١٤ آب سنة

---

٨١) نستنتج من هذا انهم كانوا يدّون العامل في ايّام الحرب بالذخائر الحربية الّا انهم كانوا يستردونها منه بعد انتهاء الحرب ويضعونها في القلاع خوفاً من ان يسيء استعمالها

٨٢) من هنا تبتدئ لسوء الحظ الثلمة الكبيرة في المخطوطة

٨٣) من المؤسف ان ديونيسيوس التلمحري – بحسب قول الاستاذ Guidi – لم يذكر شيئاً من هذا كله

٨٤) لقد تكرّرت مثل هذه الحوادث المروية هنا حتى في ايامنا الحاضرة. فلم تقصّر الدول المتأخرة في المكر والخداع عن الامبراطورية البزنطية عند معاملتها القبائل شبه المتحضرة في الامور التي لها مساس فعلي او اسمي بمصلحة الدولة

٨٥) لقد نبّهني الى هذه النقطة الاستاذ Gutschmid

٥٨٢ و١ ايلول سنة ٥٨٤ . والارجح انه الى التاريخ الاخير اقرب منه الى الاول[٨٦] . وعندما وضع اواچريوس تاريخه (٥٩٣ - ٩٤) كان النعمان لا يزال حيًّا (راجع ٦ : ٢٤) . اما مدة حكم النعمان — اذا امكن ان نعتبره حاكمًا بالمعنى الصحيح — فليس من السهل تحديدها . ولعلّ ما ذكره حمزة من ان النعمان بن المنذر[٨٧] حكم سنة واحدة يستند على رواية قديمة — سواء أكان ذلك يعني سنة واحدة بالضبط ام يدل فقط على مدة قصيرة .

لقد نُقل الينا ان يوحنا الافسسي اتى في كتابه بلمحةٍ عامة عن تاريخ الامراء الجفنيين ثم ذكر ما حدث بعد سقوط هذه الاسرة . الا ان المخطوطة التي وصلت الينا لم تحفظ لسوء الحظ الا فهرست مختصرًا « عن ازدهار سلطة عرب الروم وسقوطها » (٦ : ٤١) و« عمن هلك من امراء العرب ومن سالم الفرس منهم » (٦ : ٤٢) . اما الفصل الاول فلم يُحفَظ لنا منه شيء ، واما الثاني فقد اختصره بتصرف كثير المؤرخ ميخائيل السرياني وها انا الآن اورد شيئًا من اقواله نقلًا عن ترجمة Dulaurier للنص الارمني التي تتفق في النقاط الجوهرية مع ترجمة Langlois ص ٣١٢[٨٨] : « لما بلغت هذه الاخبار المحزنة بلاد العرب[٨٩] هلعت لها قلوب سكانها فتفرقوا وانقسموا الى خمس عشرة فرقة كل واحدة منها تحت قيادة رئيسها الخاصّ فدخلت بعض هذه الفرق تحت سلطة الفرس طمعاً بعطاياهم وذهبت فرق اخرى لمساعدة سكان قمير[٩٠] ولحق عدد قليل ببلاد الروم . وهكذا ادّت البدعة الخلقيدونية الممقوتة الى خراب هذه المملكة الجميلة . » فانت ترى من هذه العبارة ان عرب سوريا قد انقسموا في ذلك الوقت الى خمس عشرة فرقة ، لكل منها رئيس او شيخ ، وان بعض هؤلاء

---

٨٦) يجب ان نقرأ كلمات ابن العبري (٩٣ : ١٢) كما وردت في مجموعة الڤاتيكان ١٦٧ ܒܬܪ ܫܢܝܐ بدلًا من ܒܬܪ ܫܢܝܐ اي « بعد ان مُثِّلَ به » لا « بعد بضعة اعوام »

٨٧) ذكره حمزة في محله المضبوط ولكنه اخطأ في تاريخ امارة ابيه (راجع اعلاه ص ٣١)

٨٨) تتأمل ان يتحقق خبر اكتشاف ترجمة عربية لتاريخ ميخائيل السرياني في الشرق اذ انها قد تكون اصح من الترجمة الارمنية التي تزيد احيانًا على الاصل واحيانًا تختصره

٨٩) « في بلاد منطور » : Langlois

٩٠) غمير : قباذق (Cappadocia)

الرؤساء انحازوا الى جانب الفرس ، كما نستدل ايضاً من اقوال يوحنا الافسسي. امّا ما ورد في هذه العبارة عن هجرة بعض القبائل الى قباذق (Cappadocia) فهو يرجع بالاحرى الى حادثة متأخرة اذ يظهر ان الكاتب نسب الى هذا الوقت ما حدث فعلًا بعد احتلال المسلمين لسوريا يوم هجرت بعض القبائل المسيحية كغسان وإياد وغيرهما موطنها في سوريا ونزحت الى آسيا الصغرى. واما قوله ان البعض من العرب لحقوا بالروم فالارجح انه يعني به الارتداد الكنائسي اي ترك مذهب الطبيعة الواحدة واعتناق المذهب الكاثوليكي (الخلقيدوني).

اذا رجعنا الى ابن العبري (ص ٩٣) وجدنا انّ ما يقوله في هذا الصدد هو ما يأتي : « وانقسمت مملكة العرب الى خمس عشرة[٩١] امارة التحق اكثرها بالفرس وانضم قسم منها الى الخلقيدونيين ورمى قسم آخر سلاحه وتوطن المدن والقرى في بلاد شنعار (العراق) واشور (ناحية الموصل) وسوريا وظلوا الى هذا اليوم محافظين على مذهبهم القويم (اليعقوبي) كسكان الحديثة وهيت وباعربايا والقريتين في ناحية حمص والنبك واماكن اخرى »[٩٢] فانت ترى ان ابن العبري اخذ القسم الاول من هذه العبارة — حتى قوله « الى الخلقيدونيين » — عن ميخائيل السرياني . واما القسم الثاني من العبارة فقد زاده ابن العبري ولا علاقة له بالزمن القديم اذ ليس سوى جدول للاماكن التي كان يقيم فيها عدد كبير من اليعاقبة العرب في القرن الثالث عشر حين وضع هذا المؤلف تاريخه.

من كل الذي تقدم ذكره يمكننا ان نستنتج انه في سنة ٥٨٣ او ٥٨٤ اي بعد ان حُمل المنذر اسيرًا الى عاصمة الروم تصدّعت احوال العرب في سوريا وتفككت عرى وحدتهم حتى اختارت كل قبيلة منهم اميرًا لها ، ولا ريب

---

٩١) طبعًا يجب ان نتبع قراءة ܠܡܫܡܫܘ ܥܡܐ كما وردت في مجموعة الفاتيكان بدلًا من ܠܡܫܡܫܘܬ ܥܡܐ (٣٠٣ : ٤ من اسفل) التي لا تفيد معنى مـا والتي يظهر انها كانت توجد اصلًا في المخطوطة الاخرى (ولعلّها تصحيح غير واضح لِ ܠܫܘܬ ܥܡܐ)

٩٢) الحديثة وهيت على الفرات قرب بغداد ، وباعربايا موضع في بادية العراق الشمالية الشرقية غير بعيد عن الموصل ، والقريتين بلدة قرب حوارين المذكورة آنفًا (ص ٣٠) . واما النبك فقد مرَّ ذكرها فيما سبق (ص ٣٧)

في ان هؤلاء الامراء كانوا من اولئك الرؤساء الاقدمين الذين تقلص قسم كبير من سلطتهم ونفوذهم في ايام الحارث والمنذر . ومن المحقق ايضاً ان البعض منهم التحق بالفرس ومعنى ذلك انه اما ان يكون امعن في الصحراء حيث لا حدود معيّنة او انتقل بكامله الى المقاطعات الفارسية.

لا شكّ في ان هذه الحالة الجديدة لم تكن موافقة للبلدان المجاورة التي كان جل سكانها من المتحضرين . ذلك لان القبائل العربية العريقة في البداوة اخذت حالًا — بعد ان فقدت اميرها الاكبر — تتطاحن وتتنازع فيما بينها . ولم تكن هذه المنازعات لتنحصر في البادية وانما تعدتها الى البلدان العامرة فاخذت القبائل تسطو بلاخوف ولا وجل على اموال الفلّاحين المتحضرين فتنهب مواشيهم وتحصد دون ان تزرع . وهذا ، على ما يظهر ، حمل الروم على التفكير في وجوب اقامة « عامل اكبر » جديد مكان المنذر ، وقد رأوا ان يكون هذا العامل ايضاً من آل جفنة لما كان لهؤلاء الامراء في الماضي من الهيبة في قلوب جميع القبائل البدوية . واذا نظرنا الى الامراء العديدين الذين يذكرهم حمزة في تاريخه ظهر لنا انه بعد وقوع النعمان في الاسر قام عدد كبير من الامراء الجفنيين بعضهم بجانب البعض وانه من الوهم ان نحسب انهم تولوا الحكم بالتتابع اي الواحد بعد الآخر . ولا بأس من الاشارة — بالرغم من انه ليس بين ايدينا دليل ثابت يؤيدها — الى انَّ الخمسة عشر عاملًا الذين ذكرهم يوحنا الافسسي لم يكونوا معينين من قبل الروم وانما انتخبتهم قبائلهم من بين افرادها ، ونحن نشك في انهم كانوا كلهم من آل جفنة لاسيا وان منهم من انتقل بقبيلته الى جانب الفرس . فوجود هؤلاء الامراء العديدين كان دليلًا على حالة الفوضى واختلال النظام . غير اننا نجد بعد ذلك في دواوين بعض الشعراء المتأخرين الدلائل الواضحة التي يستفاد منها ان «عاملًا اكبر» من آل جفنة كان يحكم دوماً في سوريا.

مما يؤسف له ان الكتبة السوريين والبزنطيين انقطعوا عن رواية اخبار آل جفنة بعد المحنة التي اصابتهم[٩٣] . ولهذا فنحن مضطرون الى ان نتلقط اخبارهم من دواوين الشعراء المعاصرين مع ما في هذه الدواوين من الابهام ومع انه لا

---

٩٣) لا يمكن ان يكون يوحنا الافسسي قد وضع تاريخه بعد ذلك بزمن طويل.

يمكننا ان نعوّل عليها لتحديد زمان كل امير منهم . وكذلك نرى انه ليس من الحكمة ان نستخدم الروايات التي تتعلق بهذه القصائد الا بالحذر الشديد ، ولربما وجب ان نكون اشد ارتياباً ايضاً باقوال المؤرخين المنظمة .

من المصادر التي تحفظ لنا شيئاً من نسب آل جفنة بضعة ابيات تُنسب — بحق او بغير حقّ — الى النابغة الذبياني[٩٤] :

هـذا غلام حسن وجهـه   مستقبـل الخير سريع التمام
للحارث الاكبر والحـارث   الاصغر والاعرج خير الأنام
ثم لهند ولهند وقـد   أسرع في الخيرات منه امام
خمسة آباء همو[٩٥] مـا هُمُ   هم خيرُ من يشرب صوب الغمام

فأنت ترى ان الشاعر يذكر في هـذه الابيات ثلاثة آباء وامّين لغلامٍ من آل جفنـة ، وأن اسم كلٍّ من الامّين « هند » واسم الابوين[٩٦] او الثلاثـة « الحارث » . ولكن من المؤسف ان البيت الثاني — وهو من الاهمية بمكان — مرويٌّ في المصادر بصور مختلفة . وقد اتبعتُ في ترجمتي رواية ابن قتيبـة في كتابه « الشعر والشعراء » (راجع مخطوطة ڤينا) التي وقف عليها ايضاً ناسخ مخطوطة « كتاب المعارف » المحفوظة في غوطا[٩٧] . وقد راجعت خمس مخطوطات لِ« جمهرة اشعار العرب » فقرأت في مقدّمة كل منها[٩٨] : « للحـارث الاكبر

---

٩٤) لا ريب في ان هذه الابيات لشاعر معاصر ، وليس ما يمنع ان تكون للنابغة وان لم ترد في ديوانه . (ذُكرت هذه الابيات في مصادر مختلفة منها ديوان « الشعراء الستة » الذي نشره Ahlwardt ص١٧٤ والاغاني ٩ : ١٦٩ الخ

٩٥) « آباءِ همو » هي وحدها القراءة الصحيحة

٩٦) يصح ان يكون هذان الابوان « الحارثَين » اللذين ذكرهما المتمّم في المفضليات ٨ : ٤١ ، او لعل الشاعر اراد ان يجمع بين اشهر امير غسّاني وبين الحارث الكندي ، وقد يكون هناك تعليلات أخرى

٩٧) جاء في هذه المخطوطة كما اخبرني Pertsch «للحارث الاكبر والحارث الاصغر ٧ الاعرج خير الانام » وقـد كُتبت فوق « الاعرج » كلمة « وسط » ثم شُطبت ، ولعلها « (و) الاوسط » . وعلى الهامش : « والحارث » واليها تشير العلامة ٧ في النص . وطبيعي انه يجب ان نقرأ « والاعرج » بدلًا من « الاعرج »

٩٨) انني مدين بهذه الاشارة للاستاذ Hommel . وقد وردت هذه الابيات هنا في سياق الرواية نفسها التي يذكرها صاحب الاغاني

والحارث الاعرج والاصغر » . وهـذه الرواية لا تختلف في الجوهر عن رواية « كتاب المعارف » (مخطوطة برلين : مجموعة Sprenger ٣٦) [٩٩] :« للحارث الاكبر والحارث الاعرج والحارث » ولكننا اذا رجعنـا الى مخطوطتي فينـا وليدن[١٠٠] (او الى طبعة Wüstenfeld ص ٣١٥) وجدنا روايتين محرفتين تحريفاً شنيعاً لا يستقيم معه وزن الشعر :« للحارث الاكبر والحارث الاصغر والحارث الاعرج » . وجاء في رواية الاغاني ٩:١٦٩ والمسعودي ٣ : ٢٢١ وفي حاشيـة مخطوطة « المعارف » في غوطا[١٠١] :« للحارث الاكبر والحارث الاصغر والحارث». وورد اخيرًا في الثعالبي (Caussin ٢ : ٢٤٦) :« للحارث الاصغر والحـارث الاوسط والاكبر . »

فالظاهر ان الرواية الاخيرة التي تطابق في معناها رواية مخطوطة غوطا (مع اعتبار كلمة « وسط » المشطوبة) ليست اصلية وان صاحبهـا اراد ان يصلح الروايات السابقة فحشر حارثاً اوسط بين الحارث الاكبر والاصغر . وكذلـك يجب ان نهمل الرواية الاخرى التي لا تذكر اسم « الاعرج » لانَّ هـذا الاسم الذي يردّده المتأخرون كثيرًا قد أخذ ــ على الارجح ــ من هذا البيت [١٠٢] . على أن المشكل الذي يعسر حله هو معرفة مـا اذا كان « الاعرج » هو اسم حقيقي ــ كما يظهر من احدى قراآت البيت المذكور ــ او هو مجرد لقب لاحد « الحوارث » كما عدّه المتـأخرون من الرواة . على انَّ حكم هؤلاء الرواة لا يجزم بشيء ، لانه من الممكن ايضاً ان نستنتج من النص الاول المذكور اعلاه ان الشاعر يذكر ثلاثة حوارث وهندين . ولذلك فليس من الضرورة ان نتقيَّد بهذا الحكم . وحقًّا انني افضل ان اقول انَّ « الاعرج » هو اسم حقيقي اخطأ الناس في فهمه وان جميع النصوص الاخرى المختلفة يرجع اصلهـا الى رغبـة اصحابها في اجلاء امر « الحوارث » الثلاثة المذكورين في ذلك البيت .

---

٩٩) المعـارضة للدكتور Jensen . والارجح ان ابن قتيبة اوردها في الاصل على هذه الصورة ، وذلك لانه عند ذكره نسب آل جفنة يجعل الحارث الاصغر ابنَ الحارث الأعرج وهذا ابن الحارث الاكبر

١٠٠) لقد راجع لي مخطوطة فينا الدكتور Geyer ومخطوطة ليدن الاستاذ de Gœje

١٠١) انني مدين بهذه الاشارة للاستاذ Pertsch

١٠٢) لا يعرف المؤرخ حمزة هذا البيت ولهذا لم يذكر اسم الاعرج

ولقد تردّد الرواة ايضاً فيما اذا كان الحارث الاعرج هو الحارث بن جبلة المشهور نفسه[١٠٣] ام احد خلفائه . امّا انا فيكاد لا يكون عندي مجال للشك ان الحارث بن جبلة هو الذي يدعوه صاحب الابيات بـ « الاكبر » وانّ ابنه هو الحارث الاصغر وانّ ابن الحارث الاصغر هو الاعرج ابو الغلام الجفني الذي يمدحه الشاعر . واعتقد ان الشاعر انما دعا الاعرج « خير الانام » لانه كان لا يزال حيًّا حينذاك . ونحن نعلم من مصادر اخرى عن امير غسّاني يدعى الحارث الاصغر ونرجّح انه ابن الحارث الاكبر الذي اسند اليه الرومان وظيفة ابيه . وقد كانت لهذا الحارث امرأة تدعى هندًا وابن هو الاعرج وكانت لهذا الاخير امرأة تدعى ايضاً بنفس الاسم — هند — الذي كان شائعاً بين العرب يومئذ . امّا انّ الاعرج هذا كان عاملًا للروم فليس بين ايدينا ما يثبت ذلك ، كما انه ليس من المرجّح بانّ الامير الفتى الذي مدحه صاحب الابيات هو ذلك النعمان الذي اشتهر في حكمه ثم رثاه النابغة الذبياني عند وفاته (الاغاني ، وفي مصادر اخرى . راجع ادناه ص ٤١ — ٤٢).

امّا الحارث الاصغر فهو « الحارث الوهّاب »[١٠٤] الذي مدحه علقمة في قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

(رقم ٢ طبعة Ahlwardt ، قابله ايضاً برقم ٣) . ويستفاد من هذه القصيدة ان الحارث المذكور كان قد انتصر على بعض القبائل العربية واسر كثيرًا من رجالها منهم احد اخوة الشاعر نفسه . والظاهر ان هذه الموقعة ليست انتصارًا باهرًا حازه الحارث على امير آخر بل انها تقتصر على اخضاع بعض القبائل البدوية . ولقد استنتج بعض الشرّاح خطأً ان المعركة المشار اليها في هذه القصيدة هي معركة عين أُباغ (ابن قتيبة ٣١٥ ، الكامل ١١٠ : لاحظ عنوان القصيدة . — راجع اعلاه ص ٢٥) . ومن البعيد ان يكونوا اصابوا

---

١٠٣) هكذا ورد مثلًا في ياقوت ٢ : ٢٢٥ وابن الاثير ١ : ٢٩٨ . اما صاحب الكامل فهو لا يفرق بين الحارث الاعرج والحارث الاكبر مع ان البيت يميز بينهما بصراحة

١٠٤) نجد « الوهّاب » مستعملة احيانًا كلقب ملازم لاحد « الحوارث » الغسانيين ، غير ان الشاعر يستعملها هنا كصفة في مدح هذا الحارث

ايضاً فيما ذهبوا اليه من انَّ الامير الممدوح في هذه القصيدة هوالحارث الاكبر . ذلك لان علقمة كان — بحسب ٢ : ١ — قد دخل يومئذ في سنّ المشيب اي انه تجاوز ولا شك الاربعين من عمره وهو يذكر في قصيدة اخرى (١٢ : ٤) النعمان امير الحيرة الملقّب بأبي قابوس (حوالي ٥٨٠—٦٠٢) ويرود في قصيدة ثالثة (٨) اسم الزِبرِقان الذي كان يُعدُّ حوالي سنة ٦٣٢ من اشهر رجال بني تميم . اذن فلا يمكن ان يكون علقمة قد ظهر في عالم الشعر قبل سنة ٦٠٠ بزمن طويل واذن فلا بُدَّ من ان يكون الحارث المذكور في هذه القصيدة الحارثَ الاصغر[١٠٥]

كذلك يصحُّ ان يكون هذا الامير هو الذي عناه النابغة في قصيدته ١ : ٤ وذكر نعمه ونعم ابنه عليه . ولقد اجمع الرواة على ان الامير الغسَّاني الممدوح في هذه القصيدة — التي تعد من اجمل نماذج الشعر العربي القديم — هو عمرو بن الحارث[١٠٦] . ومما روى النابغة في قصيدة اخرى (٢٠ : ١٨) نستدل ان عمرًا هذا تهدَّد قبيلة عوف بن مُرَّة التي كانت تنزل في شمال الحجاز او في الشمال الغربي من نجد حيث كان يصل امراء بني غسان المتأخرون في غزواتهم[١٠٧] . وهذا يدلّك على مبلغ ما كان لهؤلاء الامراء من الصولة والعزّ اذ لا يستطيع ان يقومَ بمثل هذه الغزوات الّا امراء على جانبٍ عظيم من القوّة والبأس لانَّ هذه الحملات تختلف كثيرًا عن الغزوات العادية لنهب الابل او ما شابه .

ومن الرواة من يرى ايضاً في قصيدة النابغة (٢٧) التي مطلعها :

أتاركةٌ تدلُّلَها قطام وضنًّا بالتحية والكلام

اشارة الى عمرو المذكور . وقد اختلف الرواة قديماً فيما اذا كانت هذه

---

١٠٥) لعل هذا الحارث نفسه هو المقصود بابيات الشاعر الطائي زامل (ياقوت ٣ : ٢٤١ — ٤٢) . هذا اذا لم تكن الابيات من وضع ناقل الرواية

١٠٦) من المحتمل ان يكون اجماعهم على هذا الاسم نشأ عن كونهم وهموا بأن جد عمرو : « الحارث الجفني » (اي الحارث الاكبر) المذكور في البيت السابع من قصيدة النابغة هو ابوه الحقيقي

١٠٧) والارجح ان تكون وصلت اليها غزوات المتقدمين من الغساسنة ايضاً . الا ان كتبة السريان واليونان الذين نستخرج منهم وحدهم معلومات وافية عن هؤلاء المتقدمين لم يكونوا يهتمون بهذه الغزوات بينما ان كتبة العرب كانوا يعلّقون عليها اهمية كبرى

القصيدة قيلت في احد ملوك الحيرة ام في ملك من ملوك بني جفنة[١٠٨] . الّا ان الرأي الثاني هو الصحيح . واماً ما دعا بعض الرواة الى اتخاذ الرأي الاول فهو ان الامير يُكنى في هذه القصيدة (البيت ١٦) بـ« ابن هند » ، والمعروف ان هذه الكنية تطلق في قصائد عديدة على بعض ملوك الحيرة . وبما ان عمرو بن هند (عمرو بن المنذر بن ماء السماء) هو اشهر هؤلاء الملوك فقد وقف الرواة عنده وقرروا انَّ هذه القصيدة قيلت فيه . الّا ان ابن الكلبي (البكري ٣٨٨) لاحظ الصعوبة التاريخية التي تنجم عن هذا الاستنتاج فجعل الامير المشار اليه في هذه القصيدة آخر الامراء المكنّين بـ« ابن هند » اي المنذر بن المنذر . وقد اعترض ابو عبيدة — بحق — على كل هذا بقوله ان بطل القصيدة لا يعقل ان يكون من اهل الحيرة بل هو من اعدائهم بدليل انه غزا العراق وتسلط عليه كما يتبيّن من البيت ٣٥ :

فدوّختَ العراق فكل قصرٍ يُجلّلُ خندقٌ منه وحامِ

(راجع شرح البطليوسي على هذا البيت والبكري ٣٨٨) . ويؤيد هذا الرأي ايضاً ما جاء في بيت آخر (٢٤) من انَّ الامير وجّه احدى غزواته الى « الأتم » : وهو قول ينطبق على امير غسّاني لا على امير لخمي ، لأنَّ هذا الموضع يقع في بلاد سُليم على بعد تسعة اميال فقط من « المَسلَح » و« المَسلَح » هو المنزل الرابع بين مكة والكوفة (البكري ٦٦ ؛ ياقوت ١ : ١١٤ ، قابله بالبكري ٥٥٩) . [١٠٩] أضف الى ذلك انَّ في القصيدة نفسها يَرِد ذكر « الجِسْمى » وهو موضع لا يزال الى اليوم يُعرف بهذا الاسم وقد كان قبلًا منزل قبيلة جُذام (البيتان ٢٢ و٣١) وكان داخلًا ، ولا شك ، في عمالة بني جفنة .

على اننا لا نعلم بالضبط ايَّ امير من هذه الاسرة قيلت القصيدة في

---

١٠٨) راجع شرح البطليوسي وتعليق Derenbourg على هذه القصيدة

١٠٩) وضع Wüstenfeld « الأتم » في خارطته في « منطقة المدينة » . اما قول بعضهم بان « الأتم » يقع في العراق (البكري ٦٦) فناتج عن خطإٍ في فهم هذا البيت وبيت آخر من القصيدة : ذلك لان ذكر قبيلة غِفار في هذا البيت الاخير يشير الى الحجاز او الى البلاد القريبة منه

مدحه : أهو عمرو ام اخوه النعمان ام امير آخر ؟ ولعلَّ نظرالبعض قد اتجه الى عمرو هذا لانهم وجدوا ان عمرًا الآخر [عمرو بن هند الحيري] الـذي فكروا به اولًا لا تنطبق عليه هذه القصيدة . وكذلـك لا نستطيع ان نبتّ فيما اذا كانت امه هنـد هي الاولى ام الثانية من الـ« هندين » المذكورتين اعلاه (ص ٣٨) اي فيما اذا كان الامير الممدوح هو اخو الاعرج ام ابنه ، ولكننا نرجح الرأي الاول على الثاني(١١٠).

للنابغة جملة قصائد تتعلق بالامير الغسَّاني النعمان . وقد اجمع الرواة على ان النعمان هذا هو اخو عمرو وابن الحارث ، ونحن نوافق على ذلك ونرجح بانه ابن الحارث الاصغر وحفيد الحارث الاكبر (Arethas). ونستنتج من هذه القصائد ان الـنزاع كان مستحكماً بين النعمان وبين قبيلة النابغة ــ فزارة ــ وان الامير الغسّاني كان مستعدًا لغزو هذه القبيلة كما كان قد فتك قبلًا بقبيلة أسد (القصيدة الثانيـة). وهاتان ايضاً قبيلتان تقطنان المنطقة الواقعة شمالي المدينة . وتتعلق بالقصيدة الثانية القصيدة الحادية عشرة التي نستنتج من البيت الاول منها انه كان لهذا الامير ِحمىً في « أُقر » الواقعة قرب اراضي بني غطفان ، وهذا يدلك على مبلغ امتـداد سلطة هذا الامير نحو الجنوب (١١ : ١) ولقد حذَّر الشاعر قبيلته في هـذه القصيدة ونصحها ان لا تتعرض للامير ، كما فعل ايضاً في بيتين آخرين يُنسبان له (ياقوت ١ : ٧٤) ، وبما ان الشاعر يذكر في هذين البيتين الواقعتين الشهيرتين اللتين انتصر فيها الغساسنة ــ يوم حليمة وعـين أباغ ــ فلا مجال للشك في ان « ابن هند » المذكور في البيت الثاني هو امير

---

١١٠) ان الابيات الثلاثة التي ينذر بها صاحبها عمرًا بن هند والتي ينسبها البعض للنابغة الذبياني (Ahlwardt ١٦٨–٦٩) هي كلها – او على الاقل البيتان الاولان منها – لشاعر آخر. فمن الخطأ اذن ان تُدس في احدى قصائده (رقم ١٠) اذ انها ليست منها في شيء (ياقوت ١ : ٢٦٠). فليس من المحتمل ان تكون تغلب في جانب النـابغة ولا مسوِّغ لتحريفها الى ثعلب (ثعلبة) : راجـع الجوهري تحت مادّة « جفف ». وكذلك لا اساس تاريخي لما ورد في الاغاني (١٤ : ٢) عن اجتماع النابغة وعلقمة وحسان – وهم الشعراء الثلاثة المشهورون الذين مدحوا بني جفنة – عند عمرو بن الحارث الاعرج . وفي رواية اخرى (الاغاني ١٤ : ٢) ان الشعراء المذكورين اجتمعوا عند جبلة بن الايهم ، مع انه من المستبعد ان يكون الشاعران الاولان ادركا هذا الامير بعـد بلوغه سن الرجولة . فانت ترى من هذا كيف ان تلاعب الرواة باسماء الشعراء يفوق تلاعبهم حتى باخبارهم

غساني ولعله ايضاً النعمان. على انه يؤخذ من قصيدة أخرى (١٣) ان هذا الامير فشل في غزوته لاراضي بني عُذرة الذين كانوا يقطنون وادي القرى الغني بتمره والواقع في شمالي المدينة — وقد كان الشاعر حذَّره منهم[١١١].

ذكر النابغة في احدى قصائده (١٨) مرض النعمان وهو غائب عن بلاده وتعرّضه لخطر الموت[١١٢] ثم رثاه عند وفاته بقصيدةٍ رائعة (٢١). ونعلم عرضاً من هذه القصيدة ان النعمان كان يُكنى بـ « ابي حُجر »، ويظهر انه ضرب في حياته قبائل بكر وتميم ضربةً قاسية فعمّهم الفرح عند وفاته (البيتان ١١ و١٣). ومما نعرفه عن هذا الامير انه توغل في اراضي الفرس او على الاقل في اراضي اللخميين كما انه — هو او رجل آخر من اسرته في ذلك الزمن — اغار على العراق (اعلاه ص ٤٠). ولعل المؤرخ ثيوفلكت (٨: ١) عنى احدى هاتين الغزوتين بروايته عن اغارة عرب الروم على اراضي الفرس في زمن الصلح حوالي سنة ٦٠٠ م.، ويمكن ان تكون تكررت مثل هذه الغزوات فيما بعد.

امّا النزاع مع قبيلة ذبيان فيظهر انه حدث بعد ذلك الزمن، اذ ان النابغة يدعو سيدهم حِصن بن حذيفة بن بدر، ومعلوم ان عُيينة بن حصن هذا كان، في زمن اقامة النبي في المدينة، سيداً غير منازع لقبيلة فزارة — لا بل لغطفان بكاملها — وانه عاش الى ايام عثمان بن عفّان (راجع ابن حجر). ومعلوم ايضاً ان خارجة بن حصن اخا عيينة المذكور لعب دوراً مهماً في ايام الردّة بعد وفاة النبي وانه عاش بعدئذٍ في الكوفة وكان من رجالها البارزين. وقد ورد في القصيدة نفسها (١١، ١٢، ٩) ذكر زبّان بن سيّار واخيه خُزيمة

---

١١١) لم يخفَ على النابغة ان سكان الواحات الذين كانوا مضطرين دوماً ان يدافعوا عن بيوتهم وزرعهم كانوا اشد بأساً من البدو

١١٢) كان يُحتمل ان نرى في الابيات التالية :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأتِ معدًّا ملكها وربيعها
ويرجع الى غسانَ مُلكٌ وسؤددٌ وتلكَ المنى لو اننا نستطيعها

اشارةً الى النعمان الاكبر ابن المنذر والى الامل برجوعه من اسره في العاصمة الرومانية. غير اننا نجد ان الابيات لا تنطبق على هذا الامير لا بسبب الصعوبة التاريخية فحسب بل لان المقصود فيها هو الرجوع من الموت الى الحياة

وإنا لنعلم ان عمر بن الخطاب حمل منظوراً احد ابناء زبّان هذا على ان يُطلّق امرأته لانها كانت قبلاً تحت ابيه ثم تزوجها بعد وفاته (الاغاني ١١ : ٥٥). فيظهر اذن من كل هذا ان الاشخاص المذكورين في هذه القصيدة هم من الجيل الذي سبق الفتوحات الاسلامية تماماً. فالزّبان لا بد ان يكون تُوفي بعد ظهور النبي محمد لان زواج ابنه بأرملة ، الامر الذي لم يكن يخالف سنن العرب في جاهليتهم [113] ، اصبح من الامور المشينة التي لم يَعد يسمح بها الاسلام [114]. اذن نستطيع الان ان نقرّر ان النعمان كان عاملاً على سوريا في العقد الاول من القرن السابع غير اننا لا نجرأ على ان نضع لزمن حكمه حداً معيناً. ولا يضير هذا الاستنتاج ان خال حسان بن ثابت نزل مرّةً على النعمان (ديوانه ٨٩ = ابن هشام ٦٢٥) في جابية الجولان اي قريباً جداً من « تُبنى وجاسم » [115] حيث قُبر فيما بعد — بحسب رواية النابغة (٢١ : ٢٦) — هذا الامير الغساني.

ان الحملات التي كان يقودها هذا الامير وغيره من امراء جفنة والتي يروي لنا الشعراء اخبارها في قصائدهم كانت تمتد الى بلادٍ بعيدة وتأتي بنتائج باهرة. وهذا مما لا يُبقي لنا مجالاً للظنّ ان سلطة هؤلاء الامراء كانت ضيقة لا تتعدّى جزءاً صغيراً من سلطة الحارث الاكبر ، او انهم كانوا محاطين باعداء اقوياء مثله.

لما كنا نعلم ان النابغة (انظر اعلاه ص ٣٩) اتصل بابي عمرو وبعمرو نفسه واخذ منهما العطايا وانه عاش طيلة مدة حكم النعمان القصيرة الى زمن

---

١١٣) راجع كتاب Robertson Smith : « القرابة والزواج عند العرب » ص ٨٦ وما يليه

١١٤) اضف الى ذلك ان النابغة يخاطب عُيينة في قصيدة أُخرى (٢٩) كقائد او زعيم وأن الرواة يروون بحقٍ اشارة اخرى اليه في قصيدة ثالثة (٢٦). وعليه يكون النابغة بلغ عامَ الهجرة او كاد

١١٥) هذه هي القراءة الصحيحة كما وردت في معجم ياقوت (١ : ٨٢٤) والاغاني (١٦ : ١٣ حيث نُسب هذا الشعر خطأً لحسان بن ثابت). اما قراءة الديوان (طبعات Ahlwardt و Derenbourg والقاهرة) « بُصرى » فضعيفة جداً ، وأضعف منها قراءة اخرى في الاغاني (١٦ : ١٥) : « بين بصرى وجلّق ». راجع مجلة الجمعية الالمانية الشرقية (٢٩ : ٤٣١) وفيما يتعلق بجاسم ص ٤٢٩

خلفه فالارجح اذن ان النعمان حكم قبل عمرو والا فيكون هذا الشاعر قد اتصل باربعة من امراء بني جفنة الواحد بعد الآخر.

مرَّ معنا ان النعمان كان يُكنى بـ « ابي حُجر » ولعل حُجرًا هذا هو الامير الذي يمدحه حسان بقصيدته التي انشدها على ما يظهر قبل هجرة النبي بزمن قليل (ص ٤٧)[١١٦]. اما عمرو المذكور معه فهو على الارجح ذلك الامير الذي مدحه النابغة. وفي هذين الاميرين يقول حسان:

مَلَكا من جبل الثلج الى ... جانبَي أيلةَ من عَبدٍ وحُرّ
أتيا فارس في دارهم ... فتناهَوا بعد اعصامٍ بِقُرّ
ثم صاحا بين غسّان اصبروا ... انه يومُ مصاليتَ صُبُرْ

وقد استعمل صيغة المثنى[١١٧] في هذه القصيدة لدرجة انه يكاد يخال للقارئ ان الاميرين اشتركا في الحكم معاً[١١٨]. ويجدر بنا ان نلاحظ ان يوحنا الافسسي سبقه الى ذلك اذ كثيرًا ما يتكلم عن اسرة الحارث او المنذر فيجمل افرادها جميعاً. وكذلك النابغة الذبياني فانه يصف في قصيدته الاولى الاسرة المالكة كانها كتلة واحدة. ولعلّ عمرًا كان العامل الحقيقي من قِبَل الروم وحُجرًا امير جيشه[١١٩]. وعلى كل حال فنحن هنا امام تعاونٍ بين افراد الاسرة الحاكمة لا نجده عادةً عند امراء مستقلين بعضهم عن البعض. اما البلاد التي كانت تحت سلطتهم فهي تمتد من جبل الشيخ الى خليج أيلة (العقبة) وتشمل معظم تلك المقاطعة التي كانت سابقاً تحت حكم الحارث الاكبر. هذا وما نعرفه عن غزوات هؤلاء الامراء للبلاد الواقعة تحت سلطة

---

١١٦) ورد هذا البيت مرارًا في مواضع اخرى

١١٧) يجب ان نصلح ما وقع في طبعة الديوان من الخطأ فنقرأ « ملكا » و« كانا »

١١٨) هذا ما ذكره Caussin ٢ : ٢٤٩. — وذكر صاحب الاغاني (٩ : ١٨٤) ان رجلًا اسمه عمرو بن ابي حُجر التقى في ايام المنذر بن ماء السماء (اذن قبل سنة ٥٥٤) بالشاعر عمرو بن كلثوم. ولقد كان يُحتمل ان يكون عمرو وحُجر أخوين لولا علمنا بانه لم يكن في ذلك الوقت بين الغساسنة اخوان بهذين الاسمين كما وهَم حسّان

١١٩) تكاد لا توجد اية علاقة بين Ὤγυρος الذي قاتل سنة ٥٨٦ في العراق في جانب الروم وبين حُجر هذا (بخلاف ما يزعم Caussin ٢ : ٢٤٨). وقد كان اسم حُجر شائعًا حينذاك

الفرس دليلٌ كافٍ على انه كانت للمتأخرين من امراء بني جفنه قوة لا يستهان بها مما يتفق مع ما يقوله النابغة فيهم.

توفي حسان بن ثابت حوالي سنة ٦٦٠ [١٢٠] وقد بلغ من العمر عتيًّا وكُفَّ بصره. على انه لم يعش مئةً او مئةً وعشرين سنة[١٢١] كما يزعم بعض الرواة اذ انه انشد سنة ٦٥٦ (او ٦٥٧ ؟) عدّة قصائد في مقتل عثمان بن عفّان تنبعث من البعض منها نار الحميَّة والحماسة مما لا يصدر عن شاعر كبير جدًّا في السن. اما امُّه فقد عاشت الى ايام الهجرة النبوية (ابن حجر) . وعليه يصح ان يكون هذا الشاعر وُلد حوالي سنة ٥٩٠ او قبيل ذلك بسنين قلائل . وعلى كل حال فقد كان اصغر سنًّا من النابغة كما يتضح من الروايات العديدة التي ترد في الاغاني وهي تصور النابغة شاعرًا شهيرًا غير منافس في حين ان حسَّان كان لا يزال شاباً حديث العهد بالشعر. ومن المرجح ان حسّاناً اتصل ببلاط بني جفنة حوالي سنة ٦١٠ ولعله وفد عليهم مرات اخرى عديدة ،وهو يفاخر بالقرابة التي تربطه بهم لكونه من يثرب (المدينة) . ثم هو يذكر الاماكن التي زارهم فيها ومنها ما يقع في منطقة الجولان التي نعرفها من قصائد النابغة او في المنطقة المجاورة تماماً لدمشق[١٢٢] . على انه من المؤسف ان هذا الشاعر لم يذكر لنا اسم احد امراء ذلك الزمن[١٢٣] الَّا مرة واحدة وذلك في احدى قصائده (ص ١٣ـــ١٤)

---

١٢٠) نقل ابن عساكر – وهو اكمل واغزر مادةً من ابن حجر – روايات عن حسان بن ثابت تختلف تمامًا عن روايات غيره وفيها تتراوح وفاة هذا الشاعر بين خلافة علي وآخر سني معاوية ، الا ان الارجح انها حدثت قُبيل ان يتولى معاوية الحكم او بعد ذلك بقليل من الزمن. عندنا في مكتبتنا من كتاب ابن عساكر الضخم الجزء الذي يتعلق بهذا البحث وهو احد الكتب التي وهبنا اياها Spitta

١٢١) الا ان Caussin ٢ : ٦٦٩ يزعم – استنادًا على روايات غير ثابتة – انه وُلد سنة ٥٦٣ ، ويذكر انه وفد على عمرو – الذي حكم بحسب قوله من سنة ٥٨٧ الى ٥٩٧ – وهو في سن الشباب

١٢٢) يذكر حسَّان بعد ان شاخ وكُفَّ بصره ما مضى من ايام عز الغساسنة ويتلهف عليها (الاغاني ١٦ : ١٦) . وليست الرواية هنا الا صدًى لما يقوله في شعره ، وما ادراك ما كان يحلم به هذا الشاعر الذي لم يتأثر بروح الاسلام الا قليلًا ؟ انه كان يحلم بالخمر والغناء والعطور والفتيات في بلاط بني جفنة « في الزمان الاول »

١٢٣) طبيعي ان لا نثق باخبار الاغاني المختلفة (٩ : ١٧١ و١٧٦ ؛ ١٤ : ٨ ؛ الخ) وبالاخص

حيث يصف هزيمة الحارث الجفني وينحي باللائمة على اصحابه الخونة من غير بني غسّان . الّا انه لم يصرّح ما اذا كان الحارث هذا هو العامل نفسه ام ابنه ام اخوه ام احد اقربائه.

يذكر حسّان (ص ٩٢) ان كسرى (اي خُسرَو الثاني پرويز ملك الفرس) قتل احد الامراء ويُستدل من قرائن الاحوال ومن الرواية الواردة في عنوان القصيدة ان الامير المقتول هو من امراء بني غسان . ولكننا لا ندري ما اذا كان هذا الامير لقي حتفه في محاربة كسرى ام انه أعدم اعداما . ومع ان هذه الحادثة لم تقع من زمن بعيد فان حسّاناً يتكلم عن سلطة بني غسان كانها قد تهدمت وانقضى اجلها :

ديار ملوكٍ قد اراهم بغبطةٍ   زمان عمود الملك لم يتهدّمِ

وحقيقة الامر ان دخول الفرس لبلاد الشام سنة ٦١٣[١٢٤] و٦١٤[١٢٥] قضى — على ما يظهر — على ملك بني جفنة ففرّ بعض امرائهم الى بلاد الروم والتجأ البعض الآخر الى داخل الصحراء.

اقام الفرس حينذاك في البلاد فأنزلوا الرعب في قلوب اهلها واحدثوا فيها من الخراب ما لا تزال آثاره باديةً الى اليوم[١٢٦] . ولا شك في انهم لم يفكروا في ان يتركوا فيها عمّال الروم خصوصاً وقد كانوا ذاقوا منهم الامرّين ؛ وطبيعي ايضاً ان عمّال الفرس من العرب لم يشاؤا ان يتركوا الحكم في سوريا في ايدي بني جفنة الذين أراقوا دماءهم وعاثوا في ديارهم . يؤيد هذا الافتراض الطبيعي في ذاته ما ورد في القصيدة المذكورة اعلاه أضف الى ذلك ان الشاعر نفسه يذكر (٥١ : ٣ — ٤)[١٢٧] كيف ان بطريق الفرس — وقد كان لقب « بطريق » اصبح

فيما يتعلق باسماء الامراء كأن نقرأ مثلًا ان جبلة بن الايهم كان معاصرًا للنعمان بن المنذر الحيري . ومثل ذلك قول المسعودي (٣ : ٢١٨ — ١٩) ان حسّان بن ثابت وفد على الحارث بن ابي شمر في ايام النعمان ملك الحيرة

١٢٤) فتح دمشق

١٢٥) فتح القدس

١٢٦) راجع ترجمتي للطبري ٢٩٩

١٢٧) لعل قائل هذا الشعر هو بشير بن سعد ، ابو النعمان بن بشير المعروف ، الذي يكاد يكون معاصرًا لحسّان (الاغاني ١٤ : ١٢٥ — ٢٦ ، ياقوت ٢ : ٢٤ و٤ : ٤٢٣)

شائعاً بين اهل تلك البلاد — سطا على ملك بني غسان وتربَّع في عقر دارهم واباح رعاية الابل فيها حتى جبل حارث في الجولان: ذلك الجبل الذي يذكره الشاعر مرارًا عديدة حين يذكر ابناء جفنة[١٢٨]. وهنا يمكنني ان اكرّر ما قلته سابقاً في ترجمتي للطبري ص ٣٠٠ وهو «ان اراضي كثيرة تُركت يومئذ للبدو يرعون فيها اغنامهم».

من الاسماء التي وردت في شعر حسان اسم: «ابن سلمى» الذي يذكره الشاعر ثلاث مرّات. ففي ٢٦ : ١٤ يقول انه وفد عليه ويمدح جوده وكرمه وفي ٢٧ : ١٠ يذكر انه زاره وعنده أُبَيّ والنعمان وعمرو وواقد (او وافد) وفي ٨٩ : ١٠ وما يليه (ابن هشام ٦٢٥ : ١١—١٢) يصرّح بانه وفد عليه فوجد أُبيًّا والنعمان وواقدًا موثقين بالاغلال فعمل على اطلاقهم من الاسر ووُفق الى ذلك. وهذا يتفق مع ما يقوله في قصيدة اخرى (ص ٧٩) من انه سيُساعد أُبياً وينقذه من يد العدو التي وقع فيها. والظاهر ان أُبياً هذا هو اخوه لانه كان له حقيقةً اخ يدعى بهذا الاسم (ابن هشام ٥٠٤ وابن حجر). امّا سائر الاسماء المذكورة مع أُبيّ فلم اجد عنها شيئاً، كما انني لم اجد شيئاً ايضاً عن «ابن سلمى» الّا ما ورد في عنوان القصيـدة ص ٧٩ وفي شرح السهيلي على ابن هشام (الموضع المذكور اعلاه)[١٢٩] في انه احد امراء الغساسنة. وقد يكون ذلك صحيحاً: وفي تلك الحال نكون عرفنا اسم امّ آخر امير حقيقي من امراء بني جفنة. على ان هذا ليس الّا افتراضاً بسيطاً لا يستند على دليـل ثابت محقق، ويصح «ابن سلمى» ان يكون ايَّ شيخ آخر من شيوخ العرب[١٣٠].

وكذلك يمكننا، ونحن اكثر تأكيدًا واشد اطمئنانا، ان نحذف من قائمة بني جفنة بضعة اسماء اخرى تُنسب عادةً الى هذه الاسرة وهي ليست منهـا

---

١٢٨) النابغة ٢١ : ٢٩ وحسّان ٩٢ : ١٨ و ١٠٠ : ٨. وفي السريانية ܓܘܠܢ ܘܣܒܐ. راجع مجلة الجمعية الالمانية الشرقية ٢٨ : ٣٠٠ — ٣٠١

١٢٩) ان النص الكامل لهذا الشرح (مخطوطة Spitta في مكتبة شتراسبورغ) لا يزيد على ما في طبعة Wüstenfeld ٢ : ١٥٠

١٣٠) لعله رجـل كصالح بن عِلاط الذي ينتمي الى بيتٍ من البيوت الشريفة وقـد افتخر الشاعر مرّة بانه نادمه (٥٧ : ٤ وما يليه). وهو اخو الحجّاج بن عِلاط من بني سُليم ومن الذين اشتهروا ايضاً بغناهم (ابن هشام ٧٧٠). وليس هناك ما يحملنا على الظن ان ابن سلمى المذكور هو النعمان امير الحيرة الذي كانت أُمه ايضاً تدعى سلمى

في شي٠٠

ورد في الاغاني (١٠ : ٢٨ - ٢٩) في رواية عن يزيد بن عمرو الغسّاني انه هو الذي امر بقتل الحارث بن ظالم ، وجاء في رواية اخرى ان الذي أَمر بقتله هو النعمان الغسَّاني وفي رواية ثالثة انه النعمان او ملك آخر من ملوك الحيرة. على ان اسم يزيد لم يرد بين اسماء الامراء الغسانيين في غير هذا الموضع ولهذا نرّجح ان ابن ظالم قُتل بايعاز من احد الامراء اللخميين ويسندنا في ذلك ان القاتل كان من بني تغلب وهم يمتّون الى امراء الحيرة بعلاقة وثيقة حالَ كونهم بعيدين جدًّا عن بني جفنة.

ذكر المؤرخ حمزة ان النعمان بن الحارث الجفني كان يُلقَّب بـ « قطام » وهذا خطأ وقع فيه المؤرخ سهوًا وقد استدرجه اليه ، على ما ارى ، بيت من معلقة الحارث بن حلّزة (رقم ٥٦) :

ثم حجر اعني ابن ام قطام   وله فارسية خضراء

(الاغاني ٩ : ١٨٠) . ذلك لأنَّ الامير المذكور هو احد امراء كندة كما جاء في شعر امرئ القيس (ص ٣٧ : ٢ من طبعة Slane)[١٣١] وكما اجمع عليه الرواة. وفوق هذا كله فان قطاماً اسم للنساء اكثر منه للرجال[١٣٢].

حدّث الواقدي (ص ٣٠٩ من طبعة Wellhausen) ان شُرَحبيل بن عمرو الغساني قتل رسول النبي الى « مالك بُصرى »[١٣٣] في مؤته في اواخر سنة ٦٢٩. الَّا انه لا دليل لدينا على ان شرحبيل هذا كان من آل جفنة او انه حمل الامارة فيهم . ومما يخالف ذلك ان الواقدي نفسه عندما يذكره مع اخويه سدوس ووَبر (ص ٣١٠) ينسبه الى الازد[١٣٤] . ومع ان الغساسنة هم من الازد

---

١٣١) طبعة القاهرة ص ١٧٢ ، وفي ديوان Ahlwardt (٥٩ : ٢٣) قراءة أُخرى فيها ضعف

١٣٢) انني ارجع الان عن قولي السابق (ترجمتي للطبري ٣٠٠) ان قطام هو نفس قطمه (الطبري ١ : ١٠٠٧) الذي يقرأه البعض يوحنا

١٣٣) لم يكن هذا « الملك » سوى قائد بصرى التي كان الروم قد استردوها حديثًا . ومثل ما نراه هنا من عدم التدقيق ليس غريباً في الاحاديث النبوية

١٣٤) لقد اخطأ ، ولا شك ، ياقوت حين دعا احد امراء غسان الحارث بن عمرو (٣ : ٤٣٠ ، ٣) والصحيح انه عمرو بن الحارث

الَّا انه لم يكن من عادتهم — او من عادة امراء آل جفنة على الاخص — ان يدعوا انفسهم بهذا النسب.

نحن لا نعلم ما اذا كان هرقل قيصر الروم عاد فاسند عُمالة سوريا الى احد امراء بني جفنة بعد ان انتصر على الفرس واسترد البلاد منهم سنة ٦٢٩[١٣٥]. ولكننا نعلم ان احد خصيان الروم أبى ان يدفع للعرب الذين كانوا يحمون مداخل الصحراء المال (ῥόγαι) الذي كانت تنقدهم اياه الدولة فيما سبق فاتحدوا مع العرب المسلمين واقتحموا واياهم البلاد حتى مدينة غزّة (ثيوفانس ٥١٥) حيث احرز العرب اول انتصار لهم على الروم وذلك نهار الجمعة في ٤ شباط سنة ٦٣٤ (Land ١٧:١)[١٣٦]. امّا هؤلاء العرب القاطنون على الحدود فكانوا من قبائل لخم وجذام وغيرها وكان النبي غزاهم سنة ٦٣٠ فلم يلقَ منهم ادنى مقاومة ممّا يدلك على انه لم يكن لدولة الروم في ذلك الوقت عامل قوي يحافظ على مصالحها في ناحية الشام. واذا نحن قرأنا ان الغساسنة حاربوا المسلمين مرارًا في جانب الروم واستدللنا من بيت لاحد الشعراء المعاصرين[١٣٧] ان خالد بن الوليد اوقع بهم سنة ٦٣٤ في مرج الصفر جنوبي دمشق[١٣٨] فهذا كله يتعلق بقبيلة الغساسنة لا بالاسرة المالكة—اذا كانت ثمة اسرة مالكة في ذلك الحين.

لقد اجمع رواة العرب على ان جبلة بن الايهم كان وقتئذٍ ملكًا على بني غسان ولكنه غاب عنهم ان هذه المملكة كانت قد تلاشت او تفككت عُراها قبل ذلك الوقت وان الفرس غزوا سوريا وبسطوا سلطتهم فوقها. ومما نعرفه عن جبلة هذا انه قاتَل خالد بن الوليد في دومة الجندل (الطبري طبعة .Koseg ٢ : ٦٦) وانه كان في معركة اليرموك الحاسمة (٢٠ آب سنة ٦٣٦) التي

---

١٣٥) راجع ترجمتي للطبري ٢٩٢ . عندما سار المسلمون لغزوة مؤته وجدوا البلاد هناك ملأى بالجيوش وهذا ما ادّى الى هزيمتهم

١٣٦) ص ١١٦ من الترجمة اللاتينية. بدلًا من عبارة « في الاردن » يجب ان نضع اسم البطريق وهو على كل حال محرّف في النص الاصلي

١٣٧) راجع De Goeje : Mémoires ٣ الملحق ٥ ؛ ياقوت ٤ : ١٠١٦. طبعًا لا يمكنني ان اتكلم هنا عن هذه المواقع بتفصيل اوفى

١٣٨) طالع عن هذا المكان مجلة الجمعية الالمانية الشرقية ٢٩ : ٤٢٥ الحاشية ٢. وقد سمّى حسّان (١١٠ : ٦) احد مساكن بني غسّان « وادي الصُفَّر »

وقعت بين الروم والمسلمين في مقدمة جيش الروم يقود فرقة العرب الموالية لهم (البلاذري ١٣٥) . على اننا لا نعلم بالضبط علاقته بامراء بني جفنة الاقدمين . ومها يكن من الامر فلا شك في انه كانت لجبلة منزلة رفيعة بين عرب الروم. ولذلك فانّ لانتقاله حالًا الى جانب المسلمين اهمية عظيمة لما كان لاجداده امراء الغساسنة من الشهرة القديمة . الا ان هذا الرجل المتكبر لم يكن ليسكن الى مبدأ المساواة العام الذي كان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب اشد في تطبيقه من النبي محمد نفسه ، فعاد الى جانب الروم وهجر وطنه ليستقر نهائياً في الامبراطورية الرومانية . ولقد حاول المسلمون ان يستردوه الى جانبهم ولكنَّ جهودهم لم تثمر[١٣٩]. وليس من الغريب ان يتبع البعض العادة العربية العامة فيطلقوا على هذا الرجل لقب « ملك » لعلاقته ببيت الامارة الجفنية ولوجاهته الرفيعة ثم يعتقدوا انه كان حقاً «ملكاً» على قبيلة الغساسنة ، الا اننا نشك كثيرًا بصحة هذا الرأي ، واذا ذهبنا الى حد الافتراض انَّ جبلة ورث وظيفة الحارث الاكبر في سوريا فاننا نعتقد ان ذلك لم يكن الا لمدة قصيرة وضمن دائرةٍ محدودة.

رأينا فيما سبق ان مركز الجفنيين الاهم ، كما يستفاد من الشعراء العرب ،

---

١٣٩) راجع البلاذري(١٣٦ و١٦٤) وابن قتيبة (٣١٦) وغيرهما. ولقد حيك حول الحوادث في هذه الروايات نسيج كثيف من القصص والخرافات. فليس من الثابت ان جبلة عاد فاعتنق الاسلام في منفاه. ومن الممكن ان يكون راسل احياناً الشاعرَ حسّان بن ثابت الا ان التفاصيل المذكورة في الروايات حول العلائق بينهما هي قصصية خرافية اكثر منها تاريخية حقيقية. فقد اورد صاحب العقد الفريد (١ : ١٤٠ وما يليه من طبعة القاهرة) البيت التالي ونسبه الى حسان :

لم ينسني بالشام اذ هو ربها ملكًا ولا متنصرًا بالرومِ

على ان في تسميته « رب » الشام افراطاً زائدًا. وكل ما نستطيع استخلاصه من هذا البيت هو انه كان متنصرًا في بلاد الروم بينما انه لم يكن كذلك في الشام. غير ان حساناً يصف في احدى قصائده (ص١٠٠) احتفالًا بهيجاً بعيد الفصح في بلاط الغسانيين السابق. وكذلك فالابيات المتدفقة شعورًا التي انشدها جبلة في منفاه هي ابيات موضوعة وان كانت قد حُفظت لنا في روايات قديمة. وكل هذه القصص تجعل مسكن جبلة في القسطنطينية ، الا ان ابن الكلبي يقول انه نزل بخرسانه من اعمال قباذق حيث كان لا يزال يقطن احفاده (قابل الاصطخري ٤٥ : ٢) وهناك روايات اخرى تتفق مع هذا القول

كان في الجولان الذي يقع في ولاية فلسطين الثانية[١٤٠] . ويذكر هؤلاء الشعراء ايضاً ان الغساسنة كانوا يقيمون بالقرب من دمشق في موضع على نهر بردى يُعرف بـ « جِلِّق » (حسان ٧٢ : ١٠ ، ١٦ وهذا بيت كثيراً ما يستشهد به) ولا سبيل اليوم الى تحديد هذا الموضع بالضبط . وقد مرَّ معنا ايضاً (اعلاه ص ٢٥) ان المجمع الكنائسي الذي عُقد سنة ٥٧٠ تحت رعاية المنذر التام بالقرب من دمشق . ونستدل من شعر النابغة على ان احد افراد هذه الاسرة قُبر في جلّق (١ : ٦) وانَّ امراء آخرين قُبروا في الجولان (١ - ٦ ، ٢١) . وان صحَّ ما يقوله حسَّان بن ثابت (٧٢ : ١٤) كان قبر « ابن مارية » ايضاً في جلّق . وقد ذكر حسَّان مواضع عديدة تقع في ملك بني غسان من جنوبي الجولان الى اطراف دمشق (ص ١٠٠ راجع ايضاً ص ٧٠)[١٤١] . ويظهر مما مرَّ سابقاً (اعلاه ١٨ ، ٢٧) ان بلاد تدمر كانت تقر لبني جفنة بالسيادة . وينتج من كل هذا ان سلطة الامير الجفني لم تكن لتقف عند حدود ولاية ما بل كانت تتجاوزها وتمتد على كل القبائل الرُحل (او شبه الرَّحل) التي كانت تنزل دوماً ، او في اوقات معلومة ، في فلسطين الثانية والولاية العربية وفينيقية لبنان حتى في فلسطين الثالثة (salutaris) وربما ايضاً في ولايات سوريا الشمالية . اما في البيداء فان ملكه كان يمتدّ الى الحدّ الذي كان العرب يخشون فيه بأسه وسلاحه اي الى ما وراء سلسلة القلاع الاخيرة ، التي تعيّن حدود امبراطورية الروم ، بمسافة بعيدة .

على اننا لا نرى قط اشارةً الى ان الغساسنة كانوا يمتلكون اياً من الاماكن المحصنة او من المدن التي كانت مراكز للجَيش كـدمشق وبصرى او كتدمر التي حصَّنها يوستينيان[١٤٢] بخلاف ما يزعم حمزة الاصفهاني من انَّ احد امرائهم كان يقيم في تدمر .

---

١٤٠) كان الجولان يُعَدّ في الزمن العربي من عمالة دمشق . ويظهر ان هذا الاسم لم يعد يُطلق اليوم على القسم الشرقي منه حيث كان يقيم بنو غسَّان ولهذا لم تشر اليه خارطة جمعية اتحاد فلسطين الالمانية المنشورة في المجلد التاسع من مجلتها

١٤١) في الصفحة المائة يجب ان يأتي البيت الثاني (السطر الخامس) بعد البيت الثالث . وقد اورد ياقوت عدَّة قراآت مختلفة لا بُدَّ لتحقيقها من ابحاث طويلة . راجع مجلة الجمعية الالمانية الشرقية ٢٩ : ٤١٩ وما يليه

١٤٢) پروكوپيوس Aedif ٢ : ١١ ؛ ملَّالا ٢ : ١٥٣ ؛ ثيوفانس ٢٦٧

نستدل من اتخاذ الجولان[١٤٣] قاعدة لملك بني جفنة ومن الاهمية الخاصة التي اصبحت لِ« الجابية »[١٤٤] الواقعة فيه بعد احتلال العرب المسلمين لهذه المقاطعة — كان عمر ينظر اليها كعاصمة سوريا — انَّ في سهول الجولان كان مركز الجفنيين الخاص او — على حد تعبير يوحنا الافسسي — « معسكر أُسرة الحارث بن جبلة » (٤ : ٢٢) . اذن فلا عجب اذا عثرنا يوماً ما في تلك المنطقة على نقوش يونانية تنير لنا هذه الناحية او نواحي اخرى من تاريخ ذلك العهد[١٤٥]. واما كلمة «حِرتا » (معسكر) التي استعملها يوحنا الافسسي فهي تدل بصراحة على ان الغساسنة لم يكونوا قد انفصلوا تماماً عن حياة البداوة ، اذ ان معنى هذه الكلمة في السريانية هو « حظيرة » او شيء من هذا القبيل[١٤٦] . وكذلك فان « حرتا » في عبارة يشوع العامودي : « حرتا النعمان » (طبعة Wright ٥٤ : ١٢) هي اسم موصوف لا اسم علم فيكون معنى قول العامودي هو ان حظيرة امير عرب الفرس نُقلت الى وسط البادية . غير ان هذه الكلمة اصبحت بعد مدة وجيزة ، اسماً لمدينة معلومة كان يقيم فيها عمال الفرس من العرب ، وكان اكثر سكانها من الآراميين المسيحيين ؛ فاذا تكلم النعمان ملك الحيرة في « حياة سمعان العمودي » عن « حرثته » او « حرثته بكاملها » (.Martyr ٢ : ٣٢٧-٢٨) فانه يعني هذه المدينة نفسها اذ انه يقول (٣٢٨ ، ٣ من اسفل) انه بُني فيها كنائس وعُين لها اساقفة[١٤٧] . وقد سمّاها سمعان البترشامي (طبعة

---

١٤٣) النابغة ٢ : ٤ ؛ ٢١ : ٣٥ ، ٣٩ ؛ حسَّان ٨٩ : ٩ ؛ ٩١ : ٨ ؛ ١٠٠ : ٨ ؛ ياقوت ٢ : ٨٩٠

١٤٤) حسان ٧٢ : ٦ ؛ ٨٩ : ٩ ؛ ٩١ : ٨ . قابله بعبارة البكري ٢٢٧ : « جابية الملوك » . في السريانية ܓܒܝܬܐ وفي اليونانية Γαβιθα (مجلة الجمعية الالمانية الشرقية ٢٩ : ٧٩ و ٤٣٠)

١٤٥) لا اعرف حتى الان ان احدًا من الباحثين نقَّب في هذا الموضع قصدَ العثور على نقوش حجرية مع انه من الممكن ان يكون فيه كتابات قبرية لبني جفنة

١٤٦) استُعملت هذه الكلمة بمعنى « دير » : μάνδρα او λαύρα . راجع Payne-Smith و Moesinger : Mon. syr. ٢ : ٦١ ، ١١ = Hoffmann : Syr. Martyrer حاشية ٤١٢ ، ٤٧ . وقد وردت هذه الكلمة في المخطوطات القديمة بصورة ܚܝܪܬܐ اكثر منها بصورة ܚܐܪܬܐ ويظهر ان الثانية محرَّفة عن حز ܚܝܪܬܐ . وهناك اقوال اخرى في صورة هذه الكلمة ومعناها

١٤٧) ليس في مخطوطة المتحف البريطاني (Add. ١٤٤٨٤) التي ترجع الى القرن

Guidi) تارة « حرثا النعمان » وطورًا « حرثا » ، وهي ولا شك تلك المدينة التي عُرفت عند العرب باسم « الحيرة » وكتبها Glaucus في .Steph. Byz : Ἔρθα. وكذلك فاننا اذا نظرنا الى « حرثا » بني جفنة وجدنا انها هي ايضاً كانت تتقدم لتصبح مركزًا ثابتاً الا انه لم يقدّر لها ان تبلغ هذه الدرجة. ولما ثار ابناء المنذر وشقوا عصا الطاعة على دولة الروم اضطروا ان يهجروا قاعدة ملكهم فبنوا لانفسهم « حرثا » واسعة في داخل البادية (يوحنا الافسسي ٤٢:٣). فاذا قال المنذر آنئذٍ انه لا يستطيع ان يغادر « حرثاه » خوفاً من ان يقتحم عرب الفرس بلاده ويسبوا نساءه واولاده (٤١:٣) فان قوله هذا لا ينطبق على الجولان المنيع بل على موضع بعيد في حدود البادية حيث كان يقيم ، او بالاحرى حيث مؤرخه يوحنا الافسسي يتخيل انه كان يقيم. ولعل ايضاً « حرثا العرب » التي عُين ثيودوروس اسقفاً عليها (Land ٢٥٤:٢ ، ٢١) لم تكن مدينةً ثابتة وانما المركز الوقتي للامير الغساني.

وعلى كل حال فلا بدَّ لمثل هذا الامير الغساني ان يكون مستعدًا في كل برهة لان يهجر بلاد الراحة والحضارة ويمعن في الصحراء: اما ليحافظ على نفوذه بين القبائل الرُّحل ، واما ليشنَّ الغارة على القبائل المستقلة او على عرب الفرس او على الفرس انفسهم ، واما لينضم الى قوّاد الروم في ايام الحرب. غير ان هذه الحالة التي كانت موافقة على العموم لاغراض الدولة الرومانية كانت لها وجهة اخرى وهي انه كان من السهل على امراء العرب ان ينفصلوا عن الروم ويعمدوا الى اقلاق راحتهم. لكنهم لم يحاولوا ذلك الا نادرًا جدًّا حين كانت تدعوهم الضرورة اليه اذ لم يكن من مصلحتهم ان يستغنوا عن المساعدة المالية التي كانوا يتقاضونها من الروم.

ينسب حمزة الى كثيرين من بني جفنة تشييد القصور والابنية العامة . الا ان في رواياته ما يدعو في بادئ الامر الى الارتياب وذلك لان اسماء الاماكن المذكورة فيها قليلة وقد يمكن ان تكون أُخذت من قصائد الشعراء لا سيما وان عددًا منها لم يرد في مؤلفات الجغرافيين المشهورين كالبكري وياقوت (وانما

السادس اختلافات جوهرية (وذلك بحسب نسخة الدكتور Kleyn التي تكرَّم فأعارني اياها). غير ان هذه الكلمة تكتب فيها دائمًا بالياء.

يجب ان نذكر ان Wetzstein عثر اخيرًا على البعض منها)[١٤٨] . على انه لا بد لنا هنا من التحفظ ، ولذا نقول : مع انه من المستبعد ان يكون احد الكتبة الاقدمين الذين اخذ عنهم حمزة قد عثر في تلك البلاد — التي كان لا يزال قسم منها قفرًا حتى في تلك الاعصر — على كتابات وآثار، ونقل عنها اخبارًا عن ابنية الغساسنة ، فانه يجب ان لا ننسى انه — بدون مثل هذه المستندات الاساسية — كل هذه الاخبار عن ابنية الغساسنة ليست سوى اقاصيص وافتراضات قد تصيب الحق حينًا وتخطئه احيانًا . اما حمزة فانه يعزو تشييد الابنية الى ثلاثة عشر اميرًا فقط من الاثنين والثلاثين الذين ذكرهم في تاريخه ولا يعدّد من الابنية الا ما يكاد يتفق مع عدد هؤلاء الامراء البنّائين ، ولربما كان تعليل ذلك ان حمزة اخذ هذا العدد عن جدولٍ لامراء بني جفنة كان ، كغيره من الجداول القديمة ، لا يذكر الا نحو اثني عشر اميرًا منهم . ولم يكن من طبيعة هذا المؤرخ — الذي عُرف بشدّة ميله الى اقصى انواع التطبيق والتلفيق إن في التاريخ او في اللغة — أن يتقيدَ تمامًا ، عند ذكره كل امير من الامراء ، بالاصل الذي ينقل عنه[١٤٩] . وكيف لا نرتاب بصحة اخباره ونحن نراه ينسب بعض الابنية الى جفنة ، جد قبيلة غسان ، الذي نشك كثيرًا فيما اذا كان جاء الى سوريا ؟ ام كيف لنا ان نصدّقه وهو يعزو الى هذا الامير بناء جلق التي ورد ذكرها مرارًا عديدة في قصائد الشعراء وكانت من احب المراكز الى بني جفنة (اعلاه ص ٥١ وحمزة ١١٦) ، ثم بناء القُريّة التي عثر Wetzstein (سياحته ١٢١) على قرية باسمها في جنوبي حوران — ولعلها نفس القريّات الواردة في شعر غسان(١٠٠ : ٥) ؟ فهل من الصواب ان تكون هاتان البلدتان الواقعتان بالقرب من دمشق عاصمة البلاد من بناء امير جاء حديثًا من الحجاز على رأس

---

١٤٨) ومنها « دير حالى » التي حققها الباحثون بارجاعها الى ܘܗܢܐ ܕܝܪܐ ܚܠܠ . راجع مجلة الجمعية الالمانية الشرقية ٢٩ : ٤٣٢

١٤٩) يكفي ان نشير الى انه يجعل النصر في الموقعة التي قُتل فيها المنذر بن ماء السماء من نصيب امير مجهول يدعوه جبله بن النعمان : وهذا مما يخالف التاريخ والروايات تمامًا . اما الثلاثة عشر اميرًا الذين يسرد اسماءهم وينسب اليهم تشييد الابنية فانهم لا يردون على هذا الترتيب في ايٍّ من الجداول المعروفة لامراء الغساسنة

قبيلة بدوية ؟ ثم هل يجوز ان نُسلِّم بان عمرو بن جفنة بنى ثلاثة اديرة منها دير ايوب الشهير ونحن لم نتحقق بعد تماماً من نصرانيته ؟ واذا ذهبنا مع Wetzstein الى ان القناطر التي يعزو حمزة بناءها الى جبلة (ص ١١٧) هي نفس « قناطر فرعون » ، فليس من المحتمل ان يكون باني مثل هذه القناطر الضخمة لجرّ المياه اميرًا من امراء غسان ؛ ومن المستبعد كثيرًا ان يكون هـذا الامير جبلة ابا الحارث الاكبر لان هذا الحارث هو اول امير قويّ من امراء الاسرة الجفنية. ان بلادًا كسوريا عريقة في الحضارة والغنى والرفاهية — كما اخذنا ننظر اليها منذ اخرج Wetzstein ابحاثه — لم تكن بحاجة الى ان تنتظر هؤلاء الملوك يأتونها من الصحراء ليشيدوا فيها مثل هذه الابنية[١٥٠] . اما ان العرب المتأخرين قد نسبوا هذه الابنية الى بني جفنة فهـذا امرٌ لا يستدعي العجب لانهم لم يكونوا يعرفون من تاريخ البلاد الا انها كانت يوماً ما ملكاً لبني جفنة وقد بالغوا كثيرًا في تقدير مدة حكمهم. ويكفي هنا ان اشير عرضاً الى ان حمزة ينسب بعض هـذه الابنية الى امراء من بني جفنة لم تثبت حقيقة وجودهم بعد . ولعل « قصر حارب » (حمزة ١١٨ ، ١١٩) مأخوذ عن بيت النابغـة الذي يقول فيه : « وقبرٍ لصيداء[١٥١] الذي عند حاربِ » (النابغة ١ : ٦) . واذا وجدنا ان احد الاماكن التي يُنسب بناؤها الى امير من الامراء الجفنيين مذكور ايضاً في الازمنة السابقة[١٥٢] فيجدر بنا ان لا نعلّق اهمية كبيرة على ذلك ، اذ ان كلمة « بناء » كثيرًا ما تستعمل هنا للدلالة

---

١٥٠) لنلاحظ انه من بين مـا يقارب الالف نقشاً التي عثروا عليها في هذه البـلاد لم يُذكر اسم احد امراء آل جفنة الا في اثنين منها فقط !

١٥١) راجع عن هذا الموضع : سياحة Wetzstein ص ١١٧

١٥٢) لقد عثروا في العجلات (حمزة ١١٨) او العجيلات (بالتصغير كما تُلفظ اليوم) في جبال حوران على نقش يرجع الى زمن الجاهلية (Wetzstein رقم ١٩ = .Wadd ٢٢٠٩) وورد ذكر هذا المكان في نقش آخر من سنة ٤١١ (.Wadd ٢٠٢٥) . وفي كتاب Burton و Drake (٢ ، رسم ٦ ، رقم ٢٨) نسخةٌ أصح لَعل قراءتها كما يأتي : [οἱ ἀπὸ]κώμης Ἐγλ[ων] . واذا صحَّ رأي Wetzstein في القُريَّة كانت هذه البلدة ايضاً ترجع الى نفس الزمن لانهم عثروا فيها على كتابات من سني ١٣٩ و ٢٩٥ و ٣٥٥ و ٣٨٩ (Wadd ١٩٦٢ وما يليه) . ولنلاحظ هنـا ان كلمة « مصنعة » التي تَرد في هذه الروايات لا تعني دائمـاً « بئرًا » (Cisterne) كما يظن Wetzstein

على تجديد عمارةٍ قديمة او بالاحرى للاشارة الى تشييد بناء فخم في ذلك المكان . نستنتج من كل هذا ان اخبار حمزة تمثل لنا رأي كاتب متأخر في اعمال الغساسنة وان من هذه الاخبار ما لا صحة له ومنها ما قد يستند الى معلومات صادقة . فمن المرَجَّح مثلًا ما يُعزى الى بني جفنة من بناء الاديرة . ومما يمكن تصديقه ايضاً ما يُنسب الى احدهم من اعادة بناء قناطر الماء التي هدمها احد الامراء اللخميين : وهي القناطر التي كانت تجرّ المياه الى مدينة سرجيوس (الرصافة) المقدسة جدًّا (حمزة ١٢٠) . غير اننا لا نعلم بالضبط من هو الامير الغساني الذي قام بهذا العمل ، ولعله الحارث بن جبلة : وذلك بعد حصار كسرى ملك الفرس (سنة ٥٤٢) وخراب قناطر الماء التي كان بناها يوستينيان (پروكوپيوس .Pers ٢ : ٢٠ ؛ Aedif ٢ : ٩).

ان المقاطعة المشتملة على المساكن التي يذكرها حمزه — بقدر ما يمكننا تحديد هذه المساكن — هي نفس المقاطعة التي كانت تحت حكم آل جفنة . ففي الجنوب الاقصى منها كانت اذرح ومعان ، الواقعتان قرب البطراء (حمزة ١١٧ : ١٠ ، ١٤)[١٥٣] وفي اقصى الشمال الشرقي كانت الرصافة . وتقع اكثر الاماكن التي يمكننا تحديدها ما بين دمشق والبلقاء (وتضم هاتين البقعتين ايضاً)[١٥٤] . وقد ورد في المصادر المتأخرة ايضاً ان هاتين البقعتين كانتا تحت حكم آل جفنة ، الا انه لا يمكننا ان نستخلص من اتفاق المصادر في هذا الامر نتائج حاسمة .

كذلك لا يمكننا ان نعتمد كثيرًا على ما يرويه حمزة عن منازل بعض امراء هذه الاسرة الحاكمة . فاسم الجابية التي يذكر (ص ١٢٠) انها كانت منزل الحارث (الاصغر) بن جبلة مأخوذ — على ما يظهر — من اقوال الشعراء[١٥٥] .

---

١٥٣) إن معان مأخوذة من شعر حسَّان (١٠٠ : ٤) الا انها تدل هناك على موضع اقرب الى دمشق من المدينة الحالية

١٥٤) ان اسم « القسطل » (حمزة ص ١١٧) καστέλλιον الذي يُطلق على عدة اماكن يدل في الارجح على ذلك المكان الذي لا يزال باقياً في البلقاء جنوبي عمَّان والذي ذكر عنه الطبري (.Koseg ٢ : ٨٦) انه قريب من « زيزا » (لا « زبرا ») و« آبل » (אבל ברמים)

١٥٥) لم تكن تدمر (١٢١ : ٩) مركزًا رسمياً للامير الغسَّاني وانما كانت مكانًا شيَّد فيه بعض الابنية . ولقد يُستنتج من العبارة التالية : « صاحب (سمّد) تدمر وقصر بركة وذات انمار » — لا يزال الموضعان الاخيران مجهولَين — ان هذا الامير كان يحكم ايضًا في

ومن المستبعد ايضاً ان يكون احد امراء هذه الاسرة قد اختار مركزًا له في « الصِفّين » (١١٩ : ١٥) الواقعة على الفرات بين الرَقه وباس بالقرب من الحدود الفارسية . وكل هذه الروايات لا تتفق عموماً مع ما نقله الينا يوحنا الافسي (كما مرَّ معنا اعلاه ص ٥٢) عن « معسكر أسرة الحارث » مما يستدل منه ان خلفاء هذا الامير كانوا يقيمون ايضاً في هذا المركز

بهذه العبارة كنا نستطيع ان نختم بحثنا . على اننا رأينا من الفائدة ان نعارض — ولو بايجاز — اقوال مؤرخي العرب عن اسماء امراء آل جفنة وترتيبهم ومدة حكمهم [١٥٦] . وذلك بعد ان نورد على وجه الاختصار قائمتنا باسماء هؤلاء الامراء مبنيةً على اصدق المصادر :

ابو شَمِر جبلة حوالي سنة ٥٠٠ ؟

الحارث بن جبله : اشغل وظيفة العامل الاكبر من سنة ٥٢٩، توفي سنة ٥٦٩

ابو كَرِب المنذر بن الحارث ٥٦٩—٥٨٢

النعمان بن المنذر ٥٨٢—٥٨٣ [١٥٧]

الحارث الاصغر ابن الحارث الاكبر	
([الحارث؟] الاعرج ابن الحارث الاصغر)	
ابو حُجر النعمان (ابن الحارث الاصغر ؟)	بين سنتي ٥٨٣ و٦١٤
اخوه عمرو [١٥٨]	
حُجر بن النعمان	

+ +

+

جبله بن الايهم سنة ٦٣٥

تدمر نفسها . (راجع اعلاه ص ٥١) . وقد وقف ابو الفداء (.Hist. anteis: ١٢٠) على نصّ تاريخ حمزة المغلوط وحاول ان يصلحه بحسب طريقته الخاصة ولكنه لم يوفَّق في ذلك . اقرأ : « والمُوقع ببنى القين بن جسر وعاملة » . اما « السدير » (١١٨ : ١١) فلا يزال امره عندنا غامضاً تماماً ولعل المؤرخ خلط بينه وبين قصر اللخميين المعروف قرب الحيرة

١٥٦) لم اعتمد من المؤرخين العرب الا اولئك الذين تمكنت من الرجوع الى نصوص تواريخهم الكاملة

١٥٧) يُحتمل ان يكون في كل هذه الاعداد خطأ سنة واحدة

١٥٨) لعله قبل النعمان

يُلاحظ من هـذا ، ان النتائج التي توصّلنا اليها ضئيلة وان هناك بعض الامور التي لا تزال موضعاً للشك . امـا المؤلفون العرب فانهم يوردون في بعض الاحيان علاوةً على ذلك اموراً كثيرة. الا ان هذا الحكم لا ينطبق على اقدم المؤرخين العرب واعني به ابن الكلبي. فانه يذكر لنا سلفاء الحارث بشيء من التدقيق غـير انه لا يعدّد بعدئذٍ سوى اولاده فحسب وهم : النعمان — وقد يكون هذا الامير حفيد الحـارث لا ابنه ، والمنذر ، ومنذر آخر ورد اسمه بصورة التصغير : المنيذر ، وجبـلة ، وابو شَمِر . ويظهر ان ابن الكلبي لم يذكر هذا الاخير — ابا شَمر — الا ليُلحق بهذا النسب الحارث ابن ابي شمر الذي يتخيله المؤرخون ويرجعونه الى زمن النبي . ولمثل هذا السبب ايضاً زاد ابن الكلبي الى اللائحة حارثاً اصغرَ ابناً لجبلة بن المنذر. واما جبلة ابن الايهم — الذي لا يمكن لاحد ان يسهى عن ذكره — فانه جُعل حفيداً لجبلة الاخير في حين انه ورد في مخطوطة لندن — بسبب سقوط اسمين مُكررين — كحفيد لجبلة آخر اقـدم من جبلة المذكور و كابن اخي الحارث الاكبر [١٥٩]. وعلى كل حال فان معلومات ابن الكلبي لا تمتد الى ما قبل ابناء الحارث ، واخباره حتى عن هؤلاء ضعيفة لا يوثق بها . وهو ، علاوةً على ذلك ، يختصر نسب الامراء الاخيرين الذين جاؤا قبل الحارث الاكبر . ويظهر انه لم يأخذ عن الشعراء شيئاً من اخبار بني جفنة المتأخرين.

اما لائحة المسعودي (كتب سنة ٩٤٧) فانها ترتكز على لائحة ابن الكلبي. ومع انني لم اقتصر على درسها في طبعتي باريز وبولاق لتـاريخ المسعودي وفي رواية ابن خلدون فحسب بل اعتمدت ايضاً على مخطوطتي ليدن اللتين عارضهما لي الاستاذ de Goeje ، فانني لم اتمكن حتى الان من تنسيق الاسماء التي ذكرها المسعودي تنسيقاً مرضياً، لان النسّاخ قد أسقطوا ، وهم يعدّدون اسماء بني جفنة

---

١٥٩) اقرأ : « جبلة بن الايهم بن جبلة بن الحرث بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو ابن جفنة » بـدلاً من « جبلة بن الايهم بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنـة » هكذا ذكرها الجرجاني (ابن خلدون ٢ : ٢٨٠) وهكذا وردت ايضاً — بحسب رواية ابن خلدون — في تاريخ المسعودي. واما تصحيحنا فمبني على رواية حمزة ومأخوذ عنها بطريقة غير مباشرة. ولا يزال الخطأ نفسه محفوظاً في النصّ الحاضر لتاريخ المسعودي (٣ : ٢٢٠)

التي يكرّرونها مرارًا ، بعض هذه الاسماء حتى ان رواية ابن خلدون — وهي اوفى الروايات المحفوظة عن المسعودي — لا تذكر احد عشر اسماً كما تقول بوضوح [١٦٠] وانما عشرة فقط . فقد سقط من سلفاء الحارث اسم عمرو بين جفنة وثعلبة ولم تفرق هذه الرواية بين المنذر وابي شَمِر من ابناء الحارث بل جعلتهما شخصاً واحدًا مما لم يُبق ثَمّة حاجة لدعوة المنذر الاخر ابن الحارث بـ « المُنيذر » تمييزًا له من الاول . وعليه يصبح الحارث بن ابي شَمِر ابناً للمنذر هذا [ابي شمر]. زد على ذلك ان المسعودي ينسب الى الحارث هذا أخاً يدعوه عوفاً لا يرد ذكره قط في ايّ من المصادر الاخرى ، وابناً (وذلك بحسب رواية ابن خلدون على الاقل) يدعوه النعمان. وهذا الامير هو الذي مدحه النابغة وقد نقل المسعودي اسمه مما رواه الرواة عن هذا الشاعر. اما ترتيب العمال بحسب حكمهم فقد بناه المسعودي (او المصدر الذي اخذ عنه) الى حدٍّ ما على شجرة انسابهم ، لكنه لم يُوفَّق في ذلك كثيرًا. فقد حذا حذو بعض القدماء فوضع الـ « محرّق » في مقدمة الامراء . (راجع اعلاه ص ٥). واغرب من ذلك انه لم يذكر بين ملوك بني جفنة الحارث الاكبر ، وهو اعظمهم ، او بالاحرى ذكره مرّةً تحت اسم الحارث بن ابي شَمِر وجعله من معاصري النبي. اما الاعرج فلم يذكره البتة.

ثم تأتي بعد ذلك لائحة الجُرجاني (توفي سنة ٩٧٦ او بحسب رواية اخرى سنة ١٠٠١—١٠٠٢) التي يرويها ابن خلدون (١ : ٢٨٠ و٢٨٣) [١٦١] وهي ايضاً تعتمد على جدول ابن الكلبي . واذا رددنا المنذر بن الحارث بن ثعلبة الى موضعه الحقيقي ودعوناه : المنذر بن (الحارث بن جبلة بن) الحارث بن ثعلبة يصبح الشبه بين الجدولين اقربَ واظهر . وقد حاول الُجرجاني ان يُصحّح لائحة سلفه (او لعلّ ذاك جاء منه عفوًا) فنسب الى المنذر هذا ابناً دعاه النعمان: وهو ذلك العامل الذي أُرسل الى القسطنطينية سنة ٥٨٣. وزاد الجرجاني على

---

١٦٠) هكذا في جميع النصوص. وقد وقع في الترجمة الافرنسية خطأ من الناسخ او من الطابع اذ ورد فيها douze بدلًا من onze

١٦١) لا يتفق الجدول في طبعة بولاق مع المتن تماماً ، وهذا القول يصحّ على اكثر جداول هذه الطبعة. فليس بامكاننا اذن ان نتحقق تماماً من كل ما ورد فيها

الاصل مرةً واحــدةً حيث نسب الى الحارث ابن ابي شمر — الذي لا يفرقه عن الاعرج — ابنين همـا المنذر وعمرو . ولعل الاسم الاول مذكورٌ بدلًا من النعمان : فـاذا صحَّ ذلك يكون النعمان وعمرو ذينك الاخوين الذين مدحهما النابغة. ومن مميزات هذه اللائحة ان صاحبها يعد اول ملوك بني جفنة ثعلبة بن عمرو بن المجالد احد اقرباء هذه الاسرة الفرعيين ، ثم يذكر بعده ثعلبة بن عمرو بن جفنة الجفني . والظـاهر ان الجرجاني اورد هذين الاميرين اللذين يُدعيان باسم واحـد ليزيل ما وقع من التناقض في كلام بعض الرواة. ولكن من الغريب مـا ورد في ابن خلدون (٢ : ٢٨٠) أن أبا شمر ، بحسب النسب الصحيح ، ليس جفنياً وانما هو ابن عوف بن الحارث بن عوف بن عمرو بن عدي ابن عمرو بن مازن (= غسان) . وليس بواضح ما اذا كان ابن خلدون اخذ هذا النسب — الذي يعود فيذكره مرة ثانية في اسفل ص ٢٨١ حيث لا يفرق بين ابي شمر والحـارث الاعرج — عن الجرجاني ام عن مصدر آخر. وعلى كل حال ، فهذا الخبر قديم اذ انَّ ابن عبد ربه اورده في « عقده » (الذي وضعه سنة ٩٣٦) [١٦٢] فقال انَّ الحارث بن ابي شمر الاعرج ، ملك غسان ، لم يكن من بني جفنة، كما يظن الناس عادةً، بل من بني نُمير [١٦٣] بن عمرو بن عوف . . . ابن مازن وانما أمــه كانت من بني جفنة (٢ : ٧٩ طبعة القاهرة). ويجب ان لا نُعلّق اهمية كبيرة على ان ابن خلدون يطلق لقب ابي شمر على الابن بينما ان ابن عبد ربه يطلقه على الاب ، او على ان شجرة النسب تزيد عند هذا الاخير عضوًا واحدًا على الاقل ، فيكفينا — اعتمادًا على كل ما نعرفــه من تاريخ هذه الاسرة — ان نعدّ هذه الرواية افتراضاً بسيطاً لا غير.

ونحن اذا راجعنا اخبـار هذه الاسرة وجدنا افتراضات اخرى عديدة . فالكتبة الاقدمون لم تكن لهم معرفة واضحة بغير افراد قلائل من بني جفنة ، وكانوا يجهلون تاريخ حكم كل منهم وطول مدته . فالطبري وغيره من المؤرخين —

---

١٦٢) وصلت اخبـار المؤلف في ارجوزته المحفوظة في كتابه التي نظمها في مآثر بني أمية في الاندلس الى سنة ٣٢٣ هـ. = ٩٣٤ – ٣٥ م. اما اخبار بني العباس الواردة في الطبعتين (المجلد الثالث) والممتدة الى اواخر ذلك القرن فهي ، ولا شك ، زيادة متأخرة ولا توجد في مخطوطتي مُنْشن وفينا (اما مخطوطة غوطا فينقصها هذا الجزء)

١٦٣) وهكذا ايضاً في مخطوطة مُنْشن

سواء اكانوا مستقلين عنه ام معتمدين عليه — يجهلون هذا الاسرة جهلًا يكاد يكون تامــاً اذ هم لا يحدّدون زمانها. ومن الغريب أنّ ما لم يُقدم عليه ابن الكلبي وابوه — رُغم قرب عهدهما ببني جفنة وحفظهما لنا اخبارًا حرية بالاعتبار عن تاريخ ملوك الحيرة — قد اقدم عليه الكتبة المتأخرون. وقد كنتُ اميلُ سابقاً الى الظن بان حمزة (الذي كتب سنة ٩٦١) هو اول من نظّم هذه اللائحة العظيمة لامراء غسان التي تشتمل على اثنين وثلاثين اميرًا ملكوا جميعهم ستمائة سنة وسنة. لكنني عثرت في « العقد الفريد » ، الذي وُضع قبــل تاريخ حمزة بخمسة وعشرين سنة ، على روايةٍ شبيهة برواية حمزة تماماً تفيد ان سبعةً وثلاثين ملكاً من ملوك غسان حكموا في سوريا مدة ستمائة وست عشرة سنة « الى ان جاء الاسلام.» (١٦٤) واني ارجح انّ هذا الاديب الظريف ، ابن عبد ربه ، لم يختلق هــذه اللائحة بل وجدها عند احد الكتبة السابقين. اما الاختلاف في مدة امارة بني جفنة — بين ان تكون ٦٠١ او ٦١٦ سنة — (١٦٥) فسببه ان الكاتب الاول أضاف الى الـ ٦٠١ سنة — التي ظنّ خطأ انها تمتــد الى سنة الهجرة فقط — خمس عشرة سنة اخرى من بعد الهجرة الى فتح الشام : ولذا ارجح ان العدد ٦٠١ هو الاقدم . على انني لم استطع ان أوفّق بين عدد الملوك في الروايتين : — اثنين وثلاثين عند حمزة وسبعة وثلاثين عند ابن عبد ربه . ولعل احــد الكتبة اخذ من غير هذه المصادر خمسة اسماء اخرى واضافها الى اسماء اللائحة الاولى (كاسم « الاعرج » مثلًا الذي لم يذكره حمزة). ولي أملٌ ان نتحقق يوماً ما من المصادر التي بنى حمزة كتابته عليها ، على ان ذلك يكاد لا يفيدنا شيئاً غــير ما نعرفه عن تاريخ الاسرة نفسها. فلنكتفِ الان اذن بان ننظر الى بحث حمزة نظرنا الى وحــدة كاملة وان نفترض — استنادًا على ما نعرفه من اسلوب حمزة في التأليف — انه لم يقتصر على نقل اخبار من سبقه بل ادخل عليها بضع « اصلاحات » تتفق ونظرته الخاصة.

---

١٦٤) العقد الفريد: في الموضع المذكور آنفًا. هكذا وردت بالضبط في مخطوطات فينا وغوطا ومنشن (كما اخبرني الاساتذة Geyer و Pertsch و Bezold). فلا شك اذن في ان هذه العبارة من وضع المؤلف نفسه

١٦٥) ورد العدد ٦١٦ ايضًا في المخطوطة التي اعتمد عليها Gottwald في طبعته ص١٢٢

وعلى كل حال ، فانه يكفي البحاثة الاوروبي ان يلقي نظرة على جدول امراء آل جفنة ليدرك ان الاساس الذي يُبنى كله عليه — وهو مدة حكم الاسرة — واهٍ جدًّا ، وان فيه نقائص هامة ومناقضات داخلية . مثال ذلك ما نرى من أن ستة اخوة (٧—١٢) [١٦٦] حكموا مدة ٩٤ سنة وثمانية اشهر ! وأن النابغة يذكر انعام ابي الامير الخامس عشر عليه ، ويرثي الامير السادس والعشرين ، وينشد بعض اشعار في حوادث وقعت في مدة حكم الامير السابع والعشرين : وكل ذلك يستغرق ما يزيد على ٢٥٠ سنة ! اما ان الاسماء في اللائحة لا تعني عمالًا متعاصرين ، فهذا واضحٌ من مجموع عدد السنين البالغ ٦٠١ [١٦٧] . وان هذا العدد ، الذي وُضع عمدًا بدلًا من ٦٠٠ [١٦٨] ، ليس الا نتيجة محاولة ترمي الى جعل حكم امراء بني غسان مساوياً في القِدَم لحكم خصمائهم امراء الحيرة الذين ايضاً بالغ الكتبة كثيرًا في تقدير مدة حكمهم . فمن ذلك نشأ مثلًا ذلك التقدير التاريخي ، المبني على اساس ضئيل ، الذي يُرجع حكم امراء بني جفنة الاولين الى ايام خراب اوروشليم او الى اوائل المسيحية ؛ وهذا شبيه بما يزعم ابن خلكان من ان طيطش (Titus)[١٦٩]، هادم اوروشليم ، هو الذي عيّن اول امير عربي من بني سليح . والذي يظهر لي ان العدد ٦٠١ يقسم الى ثلاثة اقسام متساوية تقريباً على هذه الصورة : الامراء ١—١٢ وقد حكموا ١٠١ سنة وواحد عشر شهرًا ، والامراء ١٣ — ٢٢ وقد حكموا ١٩٩ سنة وتسعة اشهر ، والامراء ٢٣—٣٢ ومدتهم ١٨٤ سنة واربعة اشهر ، فاذا اضفنا الى هذه المدة الاخيرة الخمس عشرة سنة التي وقعت بين

---

١٦٦) راجع الجدول ب في الملحق

١٦٧) هذا العدد نفسه الذي ورد في مخطوطة ليدن ذكره ايضاً صاحب « مجمل التواريخ » (Zotenberg) ويؤيده ايضاً ابو الفداء (Hist. ant.: ١٣٠) وابن سعيد (ابن خلدون ٢ : ٢٨٣) وكلاهما يجعلانه ٦٠٠ .وقد جاء في رواية اقدم في تاريخ حمزة ان هذه المدة هي ٤٠٠ سنة

١٦٨) من المعروف عن شعوبٍ متعددة انها عندما تقف في تقسيماتها التاريخية على عدد تقريبي (rund) تحوّله بان تزيد عليه او تنقص منه بضع سنوات

١٦٩) ٢ : ٢٧٨ : «طيطش بن قيصر ماهان» ؛ ولعلّ « ماهان » موضوع هنا بدلا من « اسبسيان »

الهجرة والفتح الاسلامي [١٧٠] اصبحت ١٩٩ سنة واربعة اشهر وكان مجموع السنين ٦٠١ سنة . وفي هذا كله من التكلف والتطبيق ما لا يحتاج الى دليل فليس علينا ان نهتم بما ورد مثلًا في اول الجدول من ان جفنة، جد هذه الاسرة، حكم مدة خمسة واربعين سنة وثلاثة اشهر . وقد يُحتمل ان يكون بعض تلك الاعداد التي يتألف منها مجموع السنين صحيحاً وموثوقاً به ، الا انه لا سبيل لدينا لمعرفتها الان وُجل ما يمكننا قوله هو افتراض ذلك لا غير (انظر اعلاه ص٣١وما يليه) . وعليه، فنحن لا نقدر ان نثق باي عدد من هذه الاعداد قائماً بنفسه، ولا يمكننا ان نستعين باخبار حمزة لتحديد تاريخ بني جفنة: فما قولك اذن ببناء ذلك التاريخ على اساسها ؟ ان Caussin de Perceval حاول ان يحدد تواريخ آل جفنة اعتماداً على اعداد حمزة فكانت نتائجه عديمة القيمة.

على اننا نستطيع ان نختصر نوعاً ما عدد العُمال المذكورين في لائحة حمزة اذا حذفنا بعض الاسماء المكرَّرة مرتين وهي ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ = ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١ (الاسماء الاولى يمتد حكم اصحابها على تسع وثمانين سنة وستة اشهر والثانية على مئة وخمس سنوات واحد عشر شهراً) [١٧١] ، واذا حذفنا فاننا نحذف الجدول الثاني لان الجدول الاول ذكرته الروايات القديمة وايّد بعضه التاريخ . ونحن نجد مثل هذا التكرار في لوائح المؤرخين الآخرين كما يتبين من الجدول التالي :

النعمان : يذكره ابن الكلبي مرة ، ونحن نعرف اثنين ، وحمزة يورد اربعة (او خمسة اذا اعتبرنا التكرار) بينهم اثنان او (ثلاثة) باسم النعمان ابن الحارث .

جبلة :	ابن الكلبي ــ ٣	نحن ــ ٢	حمزة ــ ٤ (او خمسة)
المنذر :	ابن الكلبي ــ ٣	نحن ــ ١	حمزة ــ ٤
الايهم :	ابن الكلبي ــ ١	نحن ــ ١	حمزة ــ ٢

---

١٧٠) اخذت تعليل هذا الفرق بين المجموع الحقيقي (٥٨٦) والمجموع المعين في الرواية (٦٠١) عن Gutschmid

١٧١) اذا درسنا مدّة حكم كل امير بمفرده وجدنا ان سني حكم الامير الواحد تختلف في الجدول الاول عمّا هي في الثاني : وهذا دليل آخر على عدم صحتها

عمرو : ابن الكلبي — ١ (في اعلى الجدول) ، نحن — ٢ ، حمزة — ٥، (منهم واحد لا يدخل في عداد الملوك).

ثم ان حمزة يضم الى جفنة ، جد الاسرة ، جفنة آخر ويضيف ايضاً اميراً يدعوه حُجراً (قد ثبت وجوده تاريخياً) وآخر اسمه شراحيل . وهذا الاخير هو الاسم الوحيد الذي لا نعثر عليه في غير هذا الموضع بين اسماء بني جفنة ، فانت ترى انه ليس فيما ذكرنا ما يدل على ان ما بقي من لائحة حمزة (حوالي عشرين اسماً) يصح ان يوثق به.

على كل حال ، نستطيع ان نقرّر ان جدول حمزة يعتمد على مصدر آخر على الاقل علاوةً على شجرة انساب ابن الكلبي. وان كلامه عن تعيين القيصر انسطاسيوس لاول عامـل من آل جفنة وروايته — او رواياته — عن الابنية التي شيدها افراد هذه الاسرة لهي اشدّ اهمية من مجموعة الاسماء واعداد السنين التي ذكرها . ولربمـا اضفنا الى ذاك ايضاً بعض اخبار متفرقة. اما الابيات التي يستشهد بها حمزة او احد الذين اخذ عنهم وكذلك بعض الروايات عن الشعراء الاقدمين فقـد اجاد حمزة استخدامها ولكنها ، على كل حال ، اشعار وروايات موضوعة. اذن فالبناء العظيم الذي نجده عند حمزة قد اقامه هذا المؤرخ بان عمد الى مـا تمكن استنتاجه من الروايات فحذف منه ونظّمه ثم زاد عليه دون ان يراعي الدقة والامانة. فنتيجة تحليلنا له هي هذه : البناء بكامله واهٍ ، امـا التفاصيل فلا يمكننا ان نعتمد منها الا تلك التي يدعمها مصدر آخر.

وهناك لائحة ابن قتيبة († ٨٨٩) ، وهي تختلف تماماً عن سائر اللوائح التي تقدم ذكرها[١٧٢] . اذ انها تكاد تكون مبنية كلها على شواهد الشعراء وعلى الروايات المرتبطة بها . وهي تبتدئ ، كلائحة المسعودي ، بـ « محرّق » فاذا به هنا لا يختلف عن الحارث بن عمرو المكنى بابي شمر او عن « الحارث الاكبر » ثم يأتي بعده ابنـه الحارث بن ابي شمر (الحارث الاعرج ابن مـارية) ويتبع

١٧٢) لقد تكرَّم عليَّ الدكتور Jensen بأن عارض لي النسخة المطبوعة (وستنفلد ص ٢١٢ ومايليه) بمخطوطة Sprenger ٣٦ ، ولكن هذه المعارضة لم تُظهر اية اختلافات مهمة لدرسنا سوى ان في مخطوطة Sprenger (٣٧) ثلمةً كبيرة وفي (٣٨) اختلافين طفيفين عمّا في ذيل ص ٢١٢ من النسخة المطبوعة

الحارث هـذا ابنه الحارث الاصغر. وقد اخذ ابن قتيبة هذه الاسماء الثلاثة من الشعر المذكور آنفاً ، ثم اخذ من شعر النابغة ابا حُجر النعمان بن الحارث وابناءه الثلاثة : حُجرًا وعمرًا (عن حسان) ونعمانَ ثانياً لا ندري من اصله شيئاً البتة. ويذكر ابن قتيبة ايضاً للحارث الاعرج ابناً يدعوه عمرًا ابن الحارث ولعلّه ذلك الذي ذكره النابغة ودعاه « ابا شمر الاصغر » . وكأني بصاحب هذه اللائحة يحاول ان يوفّق بـين الروايات المتضاربة عن ابي شمر. وقد نسب له ابن قتيبة اخوين: المنذر بن الحارث — وفي هذا الاسم صدًى للرواية الصحيحة — والايهم ابا جبـلة المعروف. فانت ترى كيف ان صاحب هذه اللائحة وصل آخر امراء بني جفنة باصل الاسرة القـديم باقصر طريقة ممكنة. وليس من الضروري ان نحمّل انفسنا عبء انتقاد هذه اللائحة : فيكفي ، للدلالة على ضعفها ، ان نلاحظ انها لا تذكر قط اسم جبلة ابي الحارث وما ذلك الا لانه لم يرِد عنـد الشعراء. وعلى كل حال فاللائحة هذه قد تأثرت بلائحة اخرى اقدم منها كـما يظهر من نسبتها لاحد « الحوارث » (الذي تعتبره الحارث الثاني وهو في الواقع الحارث الاول) عدة ابناء.

بقي عندنا لائحة اليعقوبي (كتب حوالي ٨٧٥) ، معاصر ابن قتيبة. وهذه اللائحة مستقلة بنفسها كما استقل اليعقوبي عن بقية المؤرخين باخبار عديدة اصاب في بعضها واخطأ في البعض الاخر (I ، ٣٣٥-٣٦) . وهي ، لسوء الحظ ، اغرب ما وصل الينا من اللوائح كما ترى مما يأتي : يزعم صاحبها ان اول ملوك غسان هو جفنة جدّ هذه الاسرة ولكنه لا يكنّيه بابن عمرو بن عامر بـل بحفيده ، ويسمي اباه « عليّة » [١٧٣] . ثم يذكر بعده احد انسبائه الحارث بن مالك من قبيلة الخزرج (في المدينة) ، وفي هذا صدى للائحة الجرجاني. ثم يُتبعه بـ« الحوارث » الثلاثة — الذين ورد ذكرهم في البيت المعروف — ويجعلهم اخوة « كعب » وابناءه (وكعب هذا هو نفس جفنة). ومن بين هؤلاء الثلاثة يذكر اليعقوبي ان الحـارث الاعرج كان يقيم في الجولان (عن الشعراء). ويأتي بعد

---

١٧٣) هكذا بدون تنقيط « عليه » (٢٣٦ : ٣). ولعلها « ثعلبة » لان اسم ثعلبة ورد مرارًا في هذا القسم من الانساب كما حُفظت لنا في التواريخ المختلفة ومن بينها تاريخ اليعقوبي

هؤلاء جبلة بن المنذر [١٧٤] (دون ان يذكر اليعقوبي العلاقة بينه وبين من سبقه في لائحة النسب) وهو ابو الحارث بن جبلة واخو الايهم. ثم يذكر بعده ملكين متعاصرين: ابن الايهم، جبلة، وحفيده الحارث بن ابي شمر بن الايهم ويزعم ان مركز الاول كان في دمشق ومركز الثاني في الاردن. وتكاد هذه الرواية الاخيرة تبعث فينا لاول نظرة شيئاً من الثقة، على انها ليست في الحقيقة سوى محاولة يُقصد منها التوفيق بين الروايات المتضاربة عن جبلة بن الايهم وعن الحارث بن ابي شمر الموهوم الذي يزعمون انه عاش في السنين الاخيرة من حياة النبي. فان اريد بدمشق المدينة فلا صحة للرواية مطلقاً، اما اذا اريد بها المقاطعة حول دمشق فقد يكون لها قسط من الصحة لان هذه المقاطعة كانت تشمل — بحسب تقسيم كتبة العرب — منطقة الجولان وهي المنطقة الوحيدة في « فلسطين الثانية » التي يمكن ان يكون لاحد بنى جفنة علاقة بها. واما القسم الاخر من هذه الولاية — الذي يُطلق عليه العرب اسم « الاردن » — فلم يكن يصلح لان يكون مركزًا لامارة عربية [١٧٥].

واخيرًا نلاحظ في لائحة اليعقوبي ان الحارث بن جبلة ذُكر فيها ايضاً مرتين في موضعين آخرين، وانه ورد بين اسمائها — التي تبلغ العشرة فقط — لا اقل من ستة « حوارث ».

---

١٧٤) هكذا اصلح Houtsma كلمة « المردد » الواردة في المخطوطة.

١٧٥) وهذا بخلاف ما ذكره المسعودي (٣: ٢٢٠، ٧) من أن بعض بني جفنة كانوا يقيمون في الاردن

الملحق أ

شجرة انساب بني جفنة حسب رواية ابن الكلبي

عامر

↓

عمرو مزيقيّا

↓

جفنة

الشطبة (١) – ثعلبة ← الاكثم

(كان اكثر خلفائه – ابناء الشطبة – يقيمون في المدينة)

عمر ← ثعلبة

ثعلبة ← الحارث ، الارقم

الحارث ← يزيد ، جبلة

الارقم ← ماريا

جبلة – ماريا ← الملك الحارث

الملك الحارث ← الملك النعمان ، الملك المنذر ، الملك المنيذر ، الملك جبلة ، الملك ابو شَمِر

الملك المنذر ← جبلة ← (الملك) الحارث

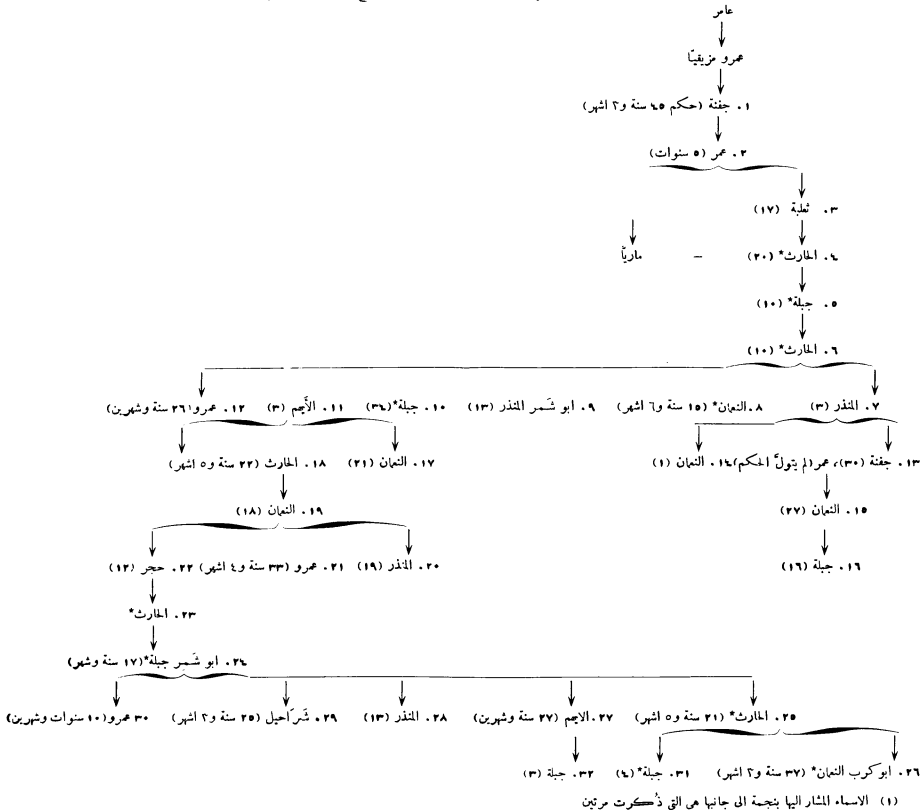
الملك جبلة ← الايهم ← الملك جبلة (٢)

الملك ابو شَمِر ← الملك الحارث

(١) لا اضمن صحة هذه الصيغة

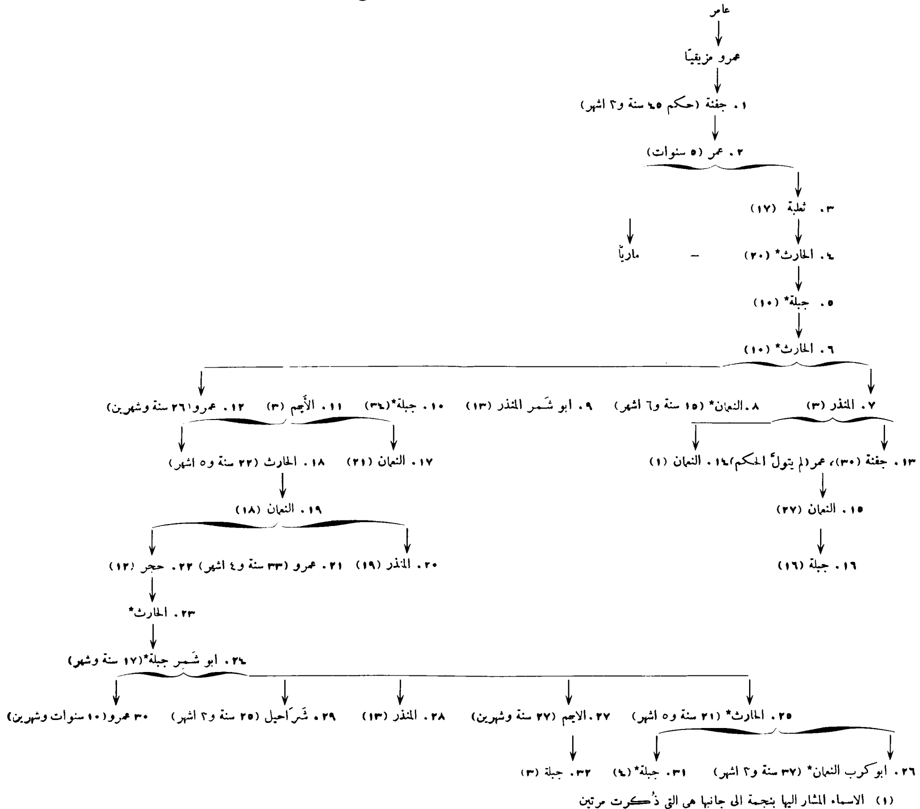
(٢) اتبعت هنا التصحيح الذي ذكرته ص ٥٨

الملحق ب – شجرة انساب بني جفنة حسب رواية حمزة الاصفهاني مع بيان مدة حكمهم (١)



(١) الاسماء المشار اليها بنجمة الى جانبها هي التي ذُكرت مرتين

الملحق ب – شجرة انساب بني جفنة حسب رواية حمزة الاصفهاني مع بيان مدة حكمهم (١)



(١) الاسماء المشار اليها بنجمة الى جانبها هي التي ذُكرت مرتين

ملاحظات الاستاذ نولدكه
على هامش نسخته المحفوظة في جامعة تُبِنغِن

ملاحظة في الصفحة الاولى :

« قصة طويلة موضوعة ورد فيها اسما النعمان و« ابن جفنة » ، لا يزيد ما يرتكز منها على اسناد قديم عن بضعة تفاصيل وابيات شعرية . الاغاني ١٠ : ١٤٥ وما يليه . يرجع اصل هذه القصة الى المنافسة بين القيسيين واليمنيين في العصر الاموي »

ص ٦ ح ١٢ :

بعد « ابن الاثير ١ : ٤٩٣ » ضع « الاغاني ١٩ : ٩٦ ـ ٩٧ » .

ص ٩ ح ٢١ :

« ومن المهم هنا ان بدوياً يدعو الاشعث « حائك بن حائك » (الاغاني ١٤ : ١٤٣، ٢) وان عبد الرحمن بن الاشعث دُعي « حائك كندة » (الطبري ٢ : ١٤١٢، ٣) . ويلقِّب ايضاً عليٌّ الاشعثَ « حائك ابن حائك » (الاغاني ١٨ : ١٥٩، ٢٠) . واما الرواية التي تُرجِع نسب الاشعث الى صانع احذية فارسي او ما يشبه ذلك (ابن رسته ٢٠٥) فهي لا شك موضوعة ، ولعلها من وضع الفرزدق نفسه » .

ص ١٨ س ٦ :

بعد « يوحنا الافسسي » ضَع « ويوافق ذلك ما ورد في تاريخ الرحماني ١١٥ و ١٢٠ » .

ص ١٩ ح ١ :

« قابل ذلك بـ G. Rothstein : Lakhmiden ٨٣ ويشير de Gœje ايضاً الى البلاذري (١٤٦ س ١٠ وما يليه) حيث وردت كلمة « الحِيار » كاسم المكان الذي قُتل فيه ابن ماء السماء (اقرأ « مقتل » بدلًا من « مَقيل » في السطر ١١) » .

ص ٢٠ ح ٥٥ :

« يشير De Gœje ، ردًّا على ذلك ، الى المثل : « اعزّ من حليمة » : Freytag : Prov. ٢ : ١٥٠ ع ٢٢٢ . راجع ايضاً اسم الفرس المدعوّة « حليمة » : ترجمتي للطبري ص ٧٩ (de Gœje) . ولكني اتساءل ما اذا كانت هذه القراءة بالاحرى : « فارس حليمة » اي الفارس الذي اصله من حليمة » .

بين ص ٢٠ و ٢١ ورقة تحوي الاشارة التالية :

« خزانة الادب ٤ : ٢٢٩ وما يليه . يُروى ان المنذر بن ماء السماء طلب شاعرًا يهجو الحارث بن جبلة (وقد ابى احد الشعراء ان يلبيه ، انما يظهر ان ابيات هـذا الشاعر ليست صحيحة تماماً) ، عندئذٍ انبرى شهاب بن العَيِّف احد بني سليمة فقال :

لا هُمَّ إنّ الحرث بن جبَلَه زنا على ابيه ثم قتَلَهْ
وركِبَ الشادخـة المحجّلة وكان في جاراته لا عهد لهْ
فأىّ امرٍ سىءٍ لا فعَلَهْ

ص ٢٢٩

(البعض يقرأون زنا = زنى ، او زنّا = زنّأ . وفي قراءات اخرى : ضَيَّكَ) .

ونحن ان فرضنا ان هذه الابيات صحيحة ــ وهذا ليس مرجحاً بل ممكناً ــ فليس فيها ما يصح ان نعتمد عليه في القاء الحكم على الحارث : لانها ابيات هجاء نُظمت لتشفي حقد عدو الحارث الالدّ . وكذلك فليس ما يدعو الى تصديق الخبر القائل ان الحارث اغتصب امرأة من قيس (ص ٢٣٠ شرح عجز البيت الثاني) .

امـا الابيات الحكمية التي قالها « بعض الكلابيين » في هذه الحادثة فهي لا شك متأخرة (لاحظ عدم اتفاق الروايات) . وقد وقع الشاعر شِهاب ابن العيِّف فيما بعد في يد الحارث . هذه الرواية مسندة الى محمد بن حبيب » .

ص ٢٣ س ٥ :

بعد « ابن هشام ٩٧١ » اضف « ابن سعد في كتاب Wellhausen : Skizzen ٤ : ٣ » .

ص ٢٣ على الهامش بجانب السطر ٥ وما بعده :

« يصف احدهم للخليفة عثمان كيف انه سار يريد الحارث بن ابي شمر

الغساني : الاغاني ١١ : ٢٥ ».

ص ٢٤ س ١٢ :

ملاحظة على كلمة « عامـل اكبر » : « ويوافق لبيد على ذلك تماماً (Huber ٤١ : ٤٩ — ٥٠ حيث يتكلم الشاعر عن وفاة الحارث في جِلِّق) ».

ص ٢٥ س ٢ :

على هامش Land ١ : ١٣ : « استشهاد مغلوط ! ».

بين ص ٢٤ و٢٥ ورقة عليها الملاحظة التالية :

« يعزو احد النقوش الى المنذر هذا بناء كنيسة ذات قبة (مجلة Der Islam : ١٢ : ١٤٢ حسب مؤلَّف Sarre وHerzfeld الكبير الذي ينسب ـــ حدساً ـــ للغسانيين تشييد ابنية اخرى) . ويذكر حمزة ١٢٠ (ومن بعده ياقوت ٢ : ٧٨٤) ان المنـذر بنى « صهاريج » لجمع الماء لمدينة القديس سرجيوس[1] التي لا ماء فيها والتي تبعد مسافة اربعة فراسخ عن الفرات : مما يدل على ان سلطة المنذر كانت منبسطة نوعـاً ما على هذه المدينة . وعلى كل حال ، فقد كانت هذه الصهاريج لا تزال صالحـة عندما اتخذ هشام بن عبد الملك الرصافة مقرًا له . ومما يجب ملاحظته اخيرًا من آثار سكنى المسيحيين في هذه المدينة في الازمنة السابقة ما يرويه ياقوت (في الموضع المذكور اعلاه) من انه كان يعيش في هذه المدينة (او بالاحرى في ضواحيها) في القرن الخـامس هـ . بعض البدو النصارى الذين كانوا يقومون باعمال السلب والنهب ».

ويعلّق الاستاذ Littmann على هذه الملاحظة بقوله : « انظر ايضاً مراجعتي لكتاب Sarre و Herzfeld في مجلة Deutsche Literaturzeitung، ١٩٢١، عامود ١٠١ ».

بين ص ٢٦ و ٢٧ ورقة عليها الملاحظة التالية :

« يتأكد لنا من النقش السبإي (Glaser ٦١٨ س ٩١-٩٢) الذي يذكر رسول אבכרב בן גבלת بجانب رسول חרתם בן גבלת ان ابا كرب كان أخا

---

١) في السريانية ܨܗܪܝܓܐ او ܨܗܪܓܐ (وكلتاهما ذات ثلاثة مقاطع) .

الحارث بن جبلة وانه كانت له في نفس الزمن عُمالة خاصة.

اما تعليقات Glaser على ابي كرب هذا فهي تحتاج الى بحث وتدقيق ».

ص ٢٩ على الهامش بجانب السطرين ١٠ و ١١ :

«ورد هذا في التاريخ الالهامي (apocalyptic) المنداني: سدرا ربّا ١ : ٣٨٥، ٤»

بين ص ٣٠ و ٣١ قطعة من كتاب (خالٍ من التاريخ) ارسله Sigmund Fraenkel الى الاستاذ نولدكه ورد فيه ما يلي :

«سيدي الاستاذ المحترم

تعليقاً على رسالتكم في الغساسنة اود ان أُبدي مـلاحظة صغيرة لعلها لا تخلو من فائدة :

في « Pratum spirituale » لِـ Moschus (Migne ، السلسلة اللاتينية ، م ٧٤) وردت قصة عنوانها :

« De tribus Saracenis qui se invicem interfecerunt » (الفصل ١٥٥). وقد جاء فيها ما يلي :

« Narrabat, inguit, senex, quia imperante fidelissimo imperatore *Mauritio*, quando *Naamanes* Saracenorum nationis dux praedam egit, cum circuirem ego prope Arnonem et Aidonem, aspicio Saracenos tres, habentes secum unum adolescentem valde formosum, annorum ferme viginti, vinctum atque captionm ».

وقد طلب عبثاً ان يطلقوه : « Sacerdoti enim nostro promisimus, quia si quid pulchrum ceperimus, offeremus illud ci, ut ipsum in sacrificium offerat ».

فدعا عندئذٍ الى السيد المسيح :

« et continuo tres Saraceni daemonio repleti evaginatis gladiis se invicem conciderunt ».

انني اعتقد ان المقـدمة التاريخية لهذه القصة صحيحة كما يظهر ايضاً من اتفاق التاريخ. الا انه يترتب على الباحث ان يصحح ما يرافق ذلك من التفاصيل بحسب الحقائق التاريخية المعروفة ليتبين مقدار الثقة التي يمكنه ان يعلقها عليها.

واستميحكم عذراً اذا انا اقدمت على ان اعرض امامكم تحليلاً انتقادياً لهـذه القصة ، لانني ان كنت اعلم شيئاً قليلاً في هذا الموضوع فهو مستمدٌ منكم . . .»

ص ٣٢ ح ٨٢ :

« هنا يمكننا ان نرجع الى اقسامٍ من تاريخ الرحماني الذي يعتمد على يوحنا الافسي (ص ١٢٨_٢٩) ».

ص ٣٢ س ١١

بعد « تاريخ يوحنا الافسي » ضع « تاريخ الرحماني ١٣٠ ادناه ! ».

ص ٣٢ على الهامش في اسفل الصفحة

« التاريخ المذكور يدعو هذه الحادثة ‹ وفاة الملك العربي › س. ر. [لعلها سدرا ربّا ؟] ١ : ٣٨٥ ، ٦ ».

ص ٣٩ س ١٢ :

بعد « عمرو بن الحارث » الاشارة التالية : « هذا هو عمرو (زهير ١٠ : ٣٢) الذي كانت سلطته تمتد على بني اسد ».

ص ٤٢ س ٢ :

بعد « بني عُــذرة » الاشارة التالية : « ظلَّ بنو عُذرة يقطنون وادي القرى الى زمن جميل (الاغاني ٢ : ١٤٤ ، ٨ من اسفل) ».

ص ٤٢ على هامش الحاشية ٢

« يمدح جميل إقدام بني عُذرة وشجاعتهم (الاغاني ٧ : ٧٨) ».

ص ٤٥ س ٤ :

بعد « لم يعش مئةً او مئةً وعشرين سنة كما يزعم بعض الرواة » الاشارة التــالية : « ان اصل هذا العمر الطويل الذي ينسبه الرواة لحسَّان راجع الى تطبيقهم حياته خطأً على حياة بعض الامراء الغساسنة الذين لا يوثق بتاريخهم. كذلك فان ابن الكلبي يستنتج ان ابا زبيد الطائي عاش مئــة وخمسين سنة (الاغاني ١١ : ٢٨) لان اسمه ذُكِر مع عدد من الامراء الغساسنة ثم ظلَّ حيّاً الى زمن الحرب الاهلية بين عليٍّ ومعاوية ».

ص ٤٦ س ١ :

بعد « الحــارث الجفني » الملاحظة التالية : « لعلّه الحِرث بن عمرو الذي ذكره حاتم (Schulthess ع ٢٥) »

ص ٤٦ س ١٠ :

على هامش السطر ١٠ وما بعده: « يرجح Wellhausen (في كتاب بعثه اليَّ) ان ما ورد في شعر لبيد ٤١ : ٤٩ ينطبق على حادثة كهذه. ولعلّ جلّق قد تهدّمت في ذلك الزمان حتى لم يعد يتبين المتأخرون مكانها ».

وقد علّق على هذه الملاحظة الاستاذ Littmann بقوله : « كتب الاستاذ Richard Hartmann عن جلّق منذ عشرين سنة إما في مجلة الجمعية الالمانية الشرقية او في مجلة جمعية اتحاد فلسطين الالمانية ».

ص ٤٧ ح ١٢٨ :

« لقد اصاب Brünnow في تعريفه هذا الجبل بانه نفس تل الحاره شمالي الجالية [لعلّها الجابية] الذي هو العلامة الظاهرة في الجولان ويرتفع فوق كل شيء آخر في تلك الارض، راجع الصورتين الفوتوغرافيتين اللتين اخذهما Brünnow (بين ص ٤٢ و٤٣) ».

ص ٤٨ على هامش س ٩ وما بعده :

« يصف شاعر في زمن الحجاج قبيلة تغلب بقوله :

تسطو على النعمان وابن محرّقٍ وابني قطامَ بعزة وتناولِ »

ص ٤٩ س ١٦ :

ملاحظة على « جبلة بن الايهم » :

« ذكره بعض الرواة كمنافس للنعمان الحيري ! (الاغاني ١١ : ٢٧) ».

ص ٥٠ ح ١٢٩ :

بعد « البلاذري (١٣٦ و ١٦٤) » ضع « Skizzen ; Wellhausen، ٤ ص ٧ ».

ص ٥٠ ح ١٢٩ في آخرها على الهامش :

« يروى ان الامبراطور نقفور كان من سلالته : تاريخ ابن العبري (Bedjan) ١٣٢ . كذلك ايضاً في المسعودي ».

ص ٥٦ على هامش الحاشية ١٥٤ :

« يقوم على بعد ساعة من القسطل قصر المشتى الذي يعتقد Brünnow انه كان احدى ضواحي القسطل ».

فهرس الاعلام

اسماء الاعلام الافرنجية التي وردت بصورتها الاصلية

اصلاح خطأ

ص	س	خطأ	صواب
١	٧	امراء جفنة	امراء آل جفنة
٥	٧	الحارث بن ثعلبة	الحارث بن جبلة
٦	٥ (من اسفل)	ابا جبلة	ابا جبيلة
٧	١١	اناسطاسيوس	انسطاسيوس
١٠	١٢	الحارث بن جفنة	الحارث بن جبلة
١٣	٩ (من اسفل)	الهرقلية	الحرقلية
١٣	٨ (من اسفل)	كورتثوس	كورنثوس
٣٠	١١	خليفة	خليفته
٥٤	٢٠	غَسَّان	حسَّان

THE PRINCES OF GHASSĀN FROM THE HOUSE OF GAFNA

BY

THEODOR NÖLDEKE

TRANSLATED INTO ARABIC FROM THE ORIGINAL GERMAN
AND PROVIDED WITH THE AUTHOR'S LAST CORRECTIONS

BY

PENDALI JOUSÉ
PROFESSOR OF ARABIC
IN THE UNIVERSITY OF BACOU

COSTI K. ZURAYK
ADJUNCT PROFESSOR OF ORIENTAL HISTORY
IN THE AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

PRINTED AT THE CATHOLIC PRESS — 1933

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

PUBLICATIONS

OF

THE FACULTY OF ARTS AND SCIENCES

